حكمة الابتلاء

فى ضوء القرآن والسنة

سامية سعد عقل

قال الله تعالى

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن
قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن
تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾

(آل عمران :١٨٦)

الإهـــــــــداء

إلـــى مـــــن أثـــروا بحياتى بعطائهم اللامحـــــــدود

والدى والدتى أمدهما الله بالصحـــــــة والعافيـــــه

وإلى من أكن لهم كل التقدير والاحترام زوجى و إخوتى

وعـــائلتى

والشكر والتقدير والاحترام لكـــــل من ساعدنى ،،،،..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه

الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ، الحمد لله الذي لا يخيب من دعاه , الحمد لله الذي هو ثقتنا حين تنقطع عنا الحيل ، الحمد لله الذي يكشف ضرنا عند كربنا سبحانك قولك حكم ، وقضاؤك حتم ، وإرادتك عزم ، سبحانك لا راد لمشيئتك ، ولا مبدل لكلماتك ،و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بعثه الله بالحق والهدي ، فبلغ الرسالة وأدي الأمانة ، ونصلي ونسلم علي رسول الله الذي ابتلي بانواع الابتلاء فصبر وشكر ، وجاهد في الله حق جهاده حتي انتصر ، ورضى الله عن صحابته المبتلين الأخيار ، الذين فتنوا فصدقوا ، وصبروا وثبتوا ، وعلي التابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً

أما بعد

كل شئ في هذا الكون – الذي من صنع الله وخلقه – يسير وفق سنن محددة ومقدرة بأمر الله سبحانه وتعالي ومن هذه السنن التي تؤثر في حياة الناس ، سنة

الابتلاء ، فهي من السنن المهمة التي يقوم عليها خلق الإنسان حيث قال عز وجل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾

(الملك:٢)

فحقيقة هذه الحياة هي ابتلاء من الله عز وجل وامتحان واختبار للإنسان

جاءت الآيات القرآنية تتحدث عن الابتلاءات والمحن التي سيتعرض لها المؤمنون وهي تخاطب الأفئدة والعقول لتبعث في نفوسهم القوة والأمل وتحمل المسئولية وأيضاً اشار الرسول صلوات الله وسلامة عليه إلي الابتلاءات وكان التوجيه النبوي نحو الصبر وتحمل الصعاب وتعويد هذه النفس علي تحمل كل المشاق لتخرج مخزون طاقاتها في التحدي والصمود .

وقد تحدث الفقهاء والعلماء والكُتاب عن الابتلاء في العديد من الكتب التي تكشف عن أهميته وفوائده .

ولكن للأسف بعض الناس يَجُهَلُ سنة الابتلاء؛ فحقيقة الابتلاء أنه من الله ، وأن الله ابتلانا ليهذبنا لا ليعذبنا، وأن البلاء تطهير من الذنوب ؛ لأن الله لا يضر عباده المؤمنين ، بل يطهرهم ويزكيهم ويقربهم إليه ، ويبتلي الله عباده

تذكيراً أو تحذيراً أو تطهيراً ، والسعيد من أحسن التعامل مع حدث البلاء بما يحقق مصلحة دينه ، لذلك كان السبب في كتابة هذا الكتاب جهل بعض الناس فهم البلاء وكيف يتم التعامل معه ، ولكثرة البلاء في زماننا وشدته وقوته ، فبدأتُ أجمع كل الآيات القرآنية الكريمة ، والاحاديث الشريفة التي تتحدث عن البلاء ، وأخذتُ من كتب الفقهاء والمؤلفين التي تشرح البلاء وفوائده حتي وصلت إلي هذا الكتاب .

واعلم أيها الإنسان أن الدنيا دار ممر وليس دار مقر ، وأن البلاء زائل لإن الدنيا زائلة وفانيه وعملك هو الباقي لك، فأحسن عملك في الدنيا حتي تكون فى الآخرة من الفائزين.

لقد كان لهذا الكتاب أثر عميق في روحي وفي نفسي ، وأنا اقرأ في كتاب الله واحاديث نبينا المصطفي صلوات الله وسلامة عليه ، وأنقب وأفتش في الكتب عن أسرار وحكم الابتلاءات والمحن في حياتنا ، فوجدت رحمة الله ونوره ، فازددت إيماناً ويقيناً بحقيقة ونورانية هذا الدين العظيم شعرت بنعمة الإسلام الذي يضئ ليل الحياري.

وكل ما أتمناه وأنا اكتب هذا الكتاب أن يشعر من يقرأ هذا الكتاب بما شعرت به وأن يستطيع رؤية سنة الابتلاء كما استطعت رؤيتها في كتاب الله وسنة نبينـــا، فتكون دافعاً قوياً للعطاء والعمل.

* فأسأل الله العظيم أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يكـــون هـــذا الكتاب خدمة للإسلام والمسلمين .

ساميه عقل

حكمة الابتلاء في ضوء القرآن والسنة

الفصل الأول : الابتلاء

المبحث الأول : مفهوم الابتلاء
المبحث الثانى : حكمة الابتلاء
المبحث الثالث : أسباب الابتلاء

الفصل الثانى : الأنبياء أشد الناس بلاء

المبحث الأول : الابتلاء في حياة الرسول ﷺ واصحابه
المبحث الثانى ابتلاء سيدنا يوسف عليه السلام
المبحث الثالث : كونوا مثل أيوب عليه السلام صبر على البلاء وهزم الشيطان

الفصل الثالث : المسلم دائما في ابتلاء

المبحث الأول : بلاء المؤمنين
المبحث الثانى : حال بعض الناس عند البلاء

الفصل الرابع : الابتلاء من عند الله

المبحث الأول: فوائد في المصائب والمحن والابتلاءات
المبحث الثانى : الرضا بقضاء الله وقدره

الفصل الخامس : كيفية دفع الابتلاء

المبحث الأول : الامور التى تخفف البلاء على المبتلى وتسكن الحزن وترفع الهم وتربط على القلب
المبحث الثانى : الواجب على العبد حين وقوع البلاء
المبحث الثالث : اذكار الكرب والبلاء

الفصل الأول

الابتلاء

لقد جرت سنة الله في الحياة الدنيا أن تبنى على الابتلاء قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (هود :٧)

فالله سبحانه وتعالى خلق السماوات والارض وجعل الدنيا ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وجعل البلاء ليفرق بين الطائع والعاصى فالإنسان يبتلى فى دينه، ويبتلى فى ماله ،ويبتلى في اهله وكل هذه ابتلاءات ما هى إلاامتحانات يمتحن الله عباده ليعلم الصابر من الراضى. ويشمل هذا الفصل على ثلاثه مباحث:

المبحث الأول : مفهوم الابتلاء
المحث الثانى : حكمة الابتلاء
المبحث الثالث : أسباب الابتلاء

المبحث الأول

مفهوم الابتلاء

البلاء والابتلاء يلتقيان في معني الاختبار والامتحان،وهما اسمان من بلاه يبلوه وابتلاه ،أى جربه ،يقال :بلوت الرجل بلواً وبلاءً وابتليته :أى اختبرته وبلاه يبلوه بلوا إذا جربه واختبره) [١]

وفى المعجم الوسيط : " ابتلاه :جربه وعرفه .والبلاء: الحادث ينزل بالمرء ليختبربه والبلاء : الغم والحزن ،والبلاء: مبالغه الجهد فى الآمر، والبلى:القدم،والبلوى:المصيبه.والبلىَ:الشديد البلىَ.البليهُ:المصيبه وجمعها بلايا.والبليه فى الجاهليه:الناقة يموت صاحبها فتحبس على قبره حتى تموت [٢]

قال القرطبى: البلاء يكون حسناً،ويكون سيئاً، وأصله المحنة والله عروجل يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره، ويبلوه بالبلوى التى يكرهها ليمتحن صبره، فقيل للحسن بلاء،وللسئ بلاء [٣]

فالمحنه والمنحة كلاهما يكونان ابتلاء من الله عز وجل لا تستغرب إن علمت أن الخير بلاء ، لأنه إذا العبد انشغل بهذا الخير من أموال وأولاد وجاه وسلطان وشهرةٍ وغيرها فهذا يعد بلاء لأن هذا الخير شغله عن طاعة الله

---

[١]) ابن منظور ، لسان العرب ،دار صادر ،بيروت ،١٩٩٠، ٨٤/١٤

[٢]) ابراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد على النجار ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ،مطبعة مصر ، ١٣٨١هـ -١٩٦١م ، ٧١/١

[٣])القرطبى ،الجامع لأحكام القرآن ،دار الكتب العلمية ، بير وت ،١٩٩٦، ٢٦٣/١

قال تعالي : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾

(التوبة ٧٥:٧٧)

قال ابن كثير: " يقول تعالى ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله وليكونن من الصالحين ، فما وفى بما قال ولاصدق فيما ادعى، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقاً سكن فى قلوبهم إلى يوم يلقون الله عزوجل يوم القيامه عياذا بالله من ذلك، وقد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن البصرى أن سبب نزول هذه الآية الكريمة فى ثعلبة بن حاطب الأنصارى، وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير ههنا، وابن أبى حاتم من حديث معان بن رفاعة عن على بن يزيد عن أبى عبد الرحمن االقاسم بن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية عن أبى أمامة الباهلى عن ثعلبة بن حاطب الأنصارى،أنه قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يرزقنى مالاً، قال: فقال رسول الله ﷺ : (ويحك ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه) قال: ثم قال مرةٍ أخرى فقال: (أما ترضى أن تكون مثل نبى الله – فو الذى نفسى بيده لو شئت أن تسير الجبال معى ذهباً وفضةً لسارت) قال: والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه، فقال رسول الله ﷺ (اللهم

ارزق ثعلبة مالاً) قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتهاحتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعه ويترك سواهما، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ: (ما فعل ثعلبة؟) فقالوا: يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة، فأخبروه بأمره، فقال: (يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة) وأنزل الله جل ثناؤه((**خذ من أموالهم صدقة**)) الآية، ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين رجلاً من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين، وقال لهما:(مرا بثعلبة وبفلان – رجل من بنى سليم– فخذا صدقاتهما) فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ماهذه إلاجزية ماهذه إلا أخت الجزية ما أدرى ما هذا؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلى فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بهما،فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد أن نأخد هذا منك، فقال:بلى فخذوها فإن نفسى بذلك طيبة وإنما هى لله، فأخذاهامنه ومرا على الناس فأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال: أرونى كتابكما فقرأه فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلاأخت الجزية انطلقاحتى أرى رأيى، فانطلقا حتى أتيا النبى ﷺ فلما رآهما قال(يا ويح ثعلبة) قبل أن يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة فأخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع

السلمى، فأنزل الله عزجل((وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ)) الآية، قال وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبه حتى أتى النبى ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته، فقال: (ويحك إن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك) فجعل يحثو على رأسه التراب، فقال له رسول الله ﷺ (هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى) فلما أبى رسول الله أن ﷺ يقبل صدقته رجع إلى منزله، فقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئا، ثم أتى أبا بكر ﷺ حين استخلف فقال قد علمت منزلتى من رسول الله ﷺ وموضعى من الأنصارفاقبل صدقتى، فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله ﷺ وأبى أن يقبلها، فقبض أبو بكر ولم يقبلها . فلما ولى عمر رضى الله عنه أتاه فقال : ياأمير المؤمنين اقبل صدقتى فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا أقبلها ؟ فقبض ولم يقبلها، فلما ولى عثمان رضى الله عنه أتاه فقال: اقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة فى خلافه عثمان، وقوله تعالى: ((بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ)) الآية، أى أعقبهم النفاق فى قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم [1]

[1]) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ،دار المنار، القاهرة ،١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م ،٣٧٢/٢

والخير من أموال وأولاد يعد فتنة

قال الله تعالي:﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

(الأنفال : ٢٨)

ومن فتنتها إشغالها عن ذكر الله وإنبات الحرص على الدنيا فى القلوب ،وإبعادها عن مكارم الأخلاق فلا تغتر بكثرة الأموال والأولاد فإنها فتنة إذا انشغلت بها ونسيت ذكر الله قال سبحانه وتعالي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

(المنافقون : ٩)

وتفسير هذه الأيه (يقول تعالى آمر لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال، والأولادعن ذلك،ومخبراً لهم بأنه من التهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عماخُلق له من طاعة ربه وذكره ، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم،وأهليهم يوم القيامه.[١]

ولهذا كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من شر فتنة الغني كما كان يتعوذ من شر فتنة الفقر .[٢]

---

[١])ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،٣٥٩/٤

[٢]) البيهقى ،السنن الكبرى ،كتاب قسم الصدقات ،باب مايستدل به على أن الفقير أمس حاجة من المسكين ، دار المعرفة ،بيروت – لبنان،(١٢٧٨٦)

فالبلاء والفتنة سنة الله في الأرض ، فلابد من بلاء واختبار وهذا هو شأن الحياة التي خُلق الإنسان فيها ليُبتلي ، فهي دار ابـــتلاء وامتحـــان ، وقـــد تعرضـــت المجتمعات البشرية للامتحان عبر مراحل التاريخ ٠

وذُكر البلاء في القرآن في أكثر من موضع :

قال الله تعالي: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة:١٥٥)

قال تعالي : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (ال عمران :١٨٦)

قال تعالي : ﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف:١٦٣)

قال عز وجل : ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف:١٦٨)

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾ (هود : ٧)

قال تعالي : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الكهف : ٧)

قال تعالي : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٥)

قال تعالي : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ (المؤمنون :٣٠)

قال تعالي : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (العنكبوت: ٢-٣)

قال تعالي﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (محمد :٣١)

قال تعالي:﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (الملك:٢)

قال تعالي : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾

(الإنسان :٢)

قال تعالي : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ (الفجر :١٥-١٦)

نفهم من القرآن الكريم أن البلاء نعمة من نعم الله علينا .

المبحث الثانى

حكمة الابتلاء

اعلم أن أفعال الله تعالي كلها عدل ، وكلماته جميعها صدق ، لا مبدل لكلماتــه ، يبتلي عباده كما قال تعالي لهم :﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس :١٤) فامتحانه بضروب المحن زيادة في المكانــه ورفعــه فــي درجــه ، وأســباب لاستخراج الصبر ، والرضا ، والشكر ، والتســليم ، والتوكــل ، والتفــويض ، والدعاء ، والتضرع ، وتذكرة لغير المبتلين ، وموعظة لســواهم ليتأســوا فــي البلاء بهم ، ومحو لهنات ، المبتلين فرضت منهم ، أو غفلات سلفت لهم ، ليلقوا الله طيبين مهذبين وليكون أجرهم أكمل ، وثوابهم أوفر وأجزل، فيبتلي الله عباده تذكيراً أو تحذيراً أو تطهيراً ،وهذا الغرض من الابتلاء.

ففي الابتلاء حكم عديدة ، وغايات محمودة ، وعواقب مرضية

- **منـها : تميز المؤمنين الصادقين من غيرهم**

قال الله تعالي :﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾

(العنكبوت : ٢-٣)

تفسير هذه الآية (يخبرنا تعالي عن تمام حكمته وأن حكمته لا تقتضي أن كــل من قال " أنه مؤمن" وادعي لنفسه الإيمان ، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها مــن الفتن والمحن ، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه ، فإنهم لو كان

الأمر كذلك ، لم يتميز الصادق من الكاذب ، والمحق من المبطل ، ولكن سنته وعادته في الأولين وفي هذه الأمة ، أن يبتليهم بالسراء والضراء ،والعسر واليسر ، والعمل ونحو ذلك من الفتن ، والتي ترجع كلها إلي فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة ، والشهوات المعارضة ، فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل ، ويدفعها بما معه من الحق ، وايضاً عند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلي المعاصي والذنوب أو الصادفة عن أمر الله به ورسوله يعمل بمقتضي الإيمان ويجاهد شهوته ، دل ذلك علي صدق إيمانه وصحته ، ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكاً وريباً ، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلي المعاصي أو تصدفه عن الواجبات ، دل ذلك علي عدم صحة إيمانه وصدقه ، فالناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله ، فمستقل ومستكثر فنسأل الله تعالي أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وأن يثبت قلوبنا علي دينه ، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير ، يخرج خبيثها وطيبها)[1]"

وقال تعالي : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ۖ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَ لَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾

(العنكبوت : ١٠-١١)

[1]) السعدى ، تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ،دار العقيدة ،الاسكندرية ،٢٠٠٩، ٩١٢/٢

وهذا كما قال عز وجل : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (الحج : ١١)

فالابتلاءات والمحن تظهر الصادق من الكاذب والراضى من الساخط

منها : إنه تُدرَكُ بها صفاته سبحانه وتعالى ومعانى أسمائه الحسنى

معرفة المؤمنين لأسماء الله وصفاته متفاوتة تفاوتاً لا يحصيه إلا الله تعالي ٠

بل المؤمن يجد في نفسه من التفاوت في ذلك بين حين وحين وحال وحال شيئاً عظيماً فالله يبتلي عبده ويمتحنه ليلجأ إليه ،ويدعوه بأسمائه وصفاته ، ويعاين وهو في محنته أثار تلك الأسماء والصفات، من الحفظ ولطف التدبير والمكر بالأعداء وصرف السوء وإجابة الدعوات ، وصرف الكربات ما لا يمكن تحصيله في حالة السعة والرخاء فيزداد إيماناً علي إيمانه ٠

فمن أسمائه المولي ، والنصير ، والولي ، والقريب ، ولطيف ، والعزيز ، والرحيم ، ومن صفاته إنه كاشف الضر والغم ، وفارج الهم والكرب ، وهذه الأسماء والصفات يتدبرها أكثر من أصابه الكرب والغم والهم ، ونزلت به المحن ، واحتاج للنصير والمعين ، وخاصة إذا أُغلقت أمامه كل الأبواب ، وسُدت أمامه كل الطرق ، وانقطعت به كل السبل ، ولم يبق إلا بابه وطريقة وسبيله سبحانه وتعالي ٠

قال ابن القيم – رحمه الله – : { يستحيل تعطيل هذه الأسماء والصفات ، إذا هي أسماء حسني وصفات كمال ، ونعوت جلال ، وأفعال حكمه ، وإحسان وجود فلابد من ظهور آثارها في العالم وقد أشار إلي هذا **أعلم الخلق بالله صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول : ((لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ، ثم يستغفرون فيغفر لهم))** "رواه مسلم"[1] } [2]

- **ومنها : أن لله عز وجل علي عباده عبادة في الضراء ، كما له عليهم عبادة في السراء**

فمن ثبت علي لزوم طاعته فيما يجب وفيما يكره فهو عبده صدقاً وحقاً ، وليس كمن يعبد ربه علي حرف فإن مسته حسنة اطمئن بها ، وأن أصابته سيئة انقلب علي وجهه خسر الدنيا والآخرة ٠

قال ابن القيم – رحمه الله – : { ومنها استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء ، وفيما يحبون وما يكرهون ، وفي حالة ظفرهم وظفر أعدائهم بهم ، فإذا ثبتوا علي الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون ، فهم عبيده حقاً ، وليسوا كمن يعبد الله علي حرف واحد من السراء والنعمة والعافية}[3] .

---

[1]) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب سقوط الذنوب بالاستغفار وتوبة ،دار احياء الكتب العربيه ،[٤٩٣٦ ٢٧٤٩]
[2]) ابن القيم ،مدارج السالكين ،دار الكتاب العربى ، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م، ٢٢٦/١
[3]) ابن القيم ، زاد المعاد فى هدى خير العباد ،مؤسسة الرسالة ،١٤١٨هـ -١٩٩٨م،١٩٩

والابتلاءات والمحن يجب لا ترد العبد المؤمن عن إيمانه ، ولا تمنع المجاهد من مواصلة جهاده ولا يتوقف عن عبادة الله سبحانه وتعالي فيجب عند السراء أن تعبد الله وعند الضراء أن تعبد الله ولا تقصر ٠

- **ومنها : إنه سبحانه وتعالي يُقيم ويُصلح نفوس عباده المؤمنين بالبلاء والمحن**

فلو نصرهم دائماً ، وكتب لهم العافية ، وجعل لهم التمكين في الأرض علي الدوام من غير بلاء ومحن لربما طغت نفوسهم ، وتجبروا في الأرض وأفسدوا فيها ، كما لو بسط للإنسان في الرزق لربما طغت نفسه ٠ قال الله تعالي:

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ (العلق : ٦-٧)

فلا يصلح نفوس عباده إلا السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، والعسر واليسر حتي تستقيم علي الحق فترجع إن شردت ، وتنتبه إن غفلت ، وتنكسر إن طغت ، وتتواضع إن استعلت

قال ابن القيم – رحمه الله – {فالله سبحانه لو نصرهم دائماً ، وأظفرهم بعدوهم في كل موطن ، وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبداً ، لطغت نفوسهم ، وشمخت وارتفعت ، فلوبسط لهم النصر والظفر ، لكانوا في الحال التي يكون فيها لو بسط لهم الرزق ، فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء ، والشدة

والرخاء والقبض والبسط ، فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته ، إنه بهم خبير }[1]

ومنها : أن يجعل عبده المؤمن يتذلل ويخضع وينكسر بقلبه بين يديه

وهذا مما يحبه الله ويرضاه من عبده ، وبمقدار انكسار عبيده وتذللهم وخضوعهم له يكون قربهم منه واستحقاقهم لنصره وتأييده ، والعكس بالعكس فكلما بعدت القلوب عن الله وأصابها والعجب كانت أبعد عن معونته ، وكلما كان، وكلما كان العبد أكثر تذللاً وأكثر انكسار لله كان الله أقرب إليه ، فإن الله عند المنكسرة قلوبهم لاجله ، ولذلك كان العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد ، لأنه موضع ذل وانكسار قلب وخضوع ٠

فالإنسان عند البلاء يلجأ إلي ربه متذللاً ليغفر له ذنبه ويهون عليه بلاؤه ويفرج عليه همه ٠

- **ومنها : أنه بالمحن والابتلاءات يقربهم اليه ، ويرفع من درجاتهم**

فلربما كتب الله لعبده المؤمن منزلة في الجنة لا يبلغها بمجرد عمله فيبتليه ليرفع من درجته ، ويبلغه منزلته التي كتبها له ٠

[1]) ابن القيم ، زاد المعاد ،١٩٩

قال رسول الله ﷺ **((أن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو فى ماله أو في ولده ثم صبره علي ذلك حتي يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل))** "رواه احمد "[1]

وقال ابن القيم – رحمه الله – {الله سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته ، لم تبلغها أعمالهم ، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة ، فيقض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه ، كما وفقهم للإعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها} [2]

*الحكمة من تعدد صور الابتلاء

إن من بديع حكمة الله سبحانه، وعظيم شأنه، وسعة علمه بخلقه أن جعل الابتلاء متعدد المظاهر والالوان ، مختلف الاساليب والأشكال ، فمنه الشديد ، ومنه دون ذلك بدرجات متفاوتة ، ومنه ما يتعلق بالأموال ، ومنه ما يتعلق بالأولاد ، ومنه ما يتعلق بالجسد ، ومنه ما يتعلق بالزوجة ، ومنه ما يتعلق بالأفراد ، ومنه ما يتعلق بالأمم ٠٠٠٠

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الأنواع والألوان في الابتلاءات وذكر لذلك نماذج مختلفة ٠

[1]) على القارى ،مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، كتاب الجنائز ، باب عيادة المريض وثواب المرض ،دار الفكر ،١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م،(١٥٦٨) .
[2]) ابن القيم ، زاد المعاد ،١٩٩

قال تعالي : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ﴾ (ال عمران : ١٨٦)

قال ابن كثير : وقوله تعالي (لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ) كقوله تعالي : (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ) أي لابد أن يبتلي المؤمن في شئ من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله ، ويبتلي المؤمن علي قدر دينه ، فإن كان في دينه صلابه زيد في البلاء ، وأن كان في دينه رقة ، ابتلي على حسب دينه . [1] فالحكمة من تعدد صور الابتلاء اختلاف القدرات والطاقات والاستعدادات التي وهبها الله سبحانه وتعالي لعباده وإنما يبتلي كل امرئ وفق ما أوتي من قدرة واستعداد ،وتعدد صور الابتلاء يكشف الناس علي حقيقتهم ويعرف بقيمتهم ، ويحصل التميز ومراعاة ما فطرت عليه النفس الإنسانية التي تحب الانتقال من حال إلي حال ، وتسأم البقاء علي حالة واحدة حتي لو كانت تلك الحالة النعيم المقيم ، ولو بقيت حاله الضراء عليهم لأصابهم اليأس والقنوط

*الابتلاء مظهر عظيم من مظاهر حب الله ورحمته

أن الابتلاء مظهر من مظاهر حب الله ورحمته وعنايته لعباده ، فالابتلاء من الله للعباده بأن عليهم أن يراجعوا أنفسهم عن كل شئ في حياتهم ؛ لذلك المهم هو حسن الفهم عن الله والقراءة الصحيحة لحدث الابتلاء ، والنظرة المتكاملة الشاملة له .

[1]) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ،٤١٩/١

والبدء باتهام النفس اولاً حتي تحسن استفادتنا من هذا الحدث ويصبح منحة ، قال عز وجل :﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾

(الحديد : ١٦)

المبحث الثالث

أسباب الابتلاء

أسباب الابتلاء عديدة ، ودواعيه مختلفة ، للحِكم جليله أردها الله عز وجل

١ –الابتلاء من سنن الله تعالي في خلقه

أوجد الله سبحانه وتعالى الكون ، واستخلف فيه آدم وذريته ، ليختبرهم قال تعالي ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك : ٢) فالبلاء والامتحان بالمصائب والمحن والشدائد والكروب والاحزان هي من سنن الله في خلقه الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل علي مدار الزمان. واخبرنا الله سبحانه وتعالي بالبلاء وأمرنا بالصبر ووعدنا بالجنة ونحن نعد البلاء نقمة ونجزع ونحزن عند البلاء وندخل النار لأننا نجهل ولا نفعل ما أمرنا الله به .

٢ – يبتلي الله تعالي عباده ؛ ليمتحن إيمانهم ويختبر صدقهم

يبتلى الله عباده ليظهر مدي التزامهم بالشرع ومقدار ثباتهم علي الحق ، ويبتليهم ليميز الصادق من المدعي والمؤمن من المنافق ، والصحابة الكرام رضى الله عنهم وقع لهم بلاء عظيم في مكة للتميز بين الإيمان والكفر وفي المدينة للتمحيص بين الإيمان والنفاق .

٣- تقرير العبودية لله تعالي

من أسباب الابتلاء تقرير العبودية لله تعالي ، فالخالق أن يفعل بخلقه ما يشاء فقد يقع الابتلاء إبتداء دون أن يكون عقوبة ، كما وقع للأنبياء والأولياء ، وإذا قارنه

الصبر أفاد درجة عاليه في الدين وأن من أتته نعم الدنيا ، أوحلت عليه نقمها ، لا يعني أنه مستحق لما أصابه ، والله عز وجل قد يغدق نعمه علي العصاه والمذنبين ويوسع علي الكفرة والملحدين إما علي سبيل الأستدراج وإما لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وإما لأنه أعلم بمصلحة العباد ، وقد يضيق علي الصديقين ، لاضداء الحكم السابق.

والله سبحانه وتعالي بشر من رضي بقضائه واستسلم لأحكامه بالمغفرة والرحمة ، حيث قال : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾

(البقرة : ١٥٥- ١٥٧)

وليس للعبد أمام قدر الله عز وجل النافذ إلا الرضا ، لينال الرضوان ، ومن سخط فليس عليه إلا سخط .

٤-المخالفة والتقصير والذنب من الأمور التي تسبب في الابتلاء

أهم سبب لوقوع الابتلاء هو الذنوب والتقصير والمخالفات لابد أن تكون هذه الحقيقة من البديهات التي ينبغي أن ترسخ في أذهاننا وتستدعي سريعاً وقت حدوث الابتلاء .

ولنا في رسول الله ﷺ أفضل الأسوة في ذلك فبعد خروجه من الطائف ، وابتلائه الشديد فيها بصورة لم يسبق لها مثيل ، فإن أول ما تبادر لذهنه ﷺ بأن يكون قد حدث منه شئ استدعي غضب الله فتمثل في هذا الابتلاء...

تأمل معي ما ناجي به ربه وهو في طريق عودته من الطائف **(إن لم يكن بك غضب علي فلا ابالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الـذي أشرقت له الظلمات ، وصلُح عليه أمر الدنيا والاخرة ان تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبي حتي ترضي ولا حول ولا قوة إلا بك)** [1]

فيجب علي كل واحد أن يوجه المرآة إلي نفسه ، ويفتش في أموره كلها باحثـاً عن مخالفة خالفها ، أو تقصير قصره ، أو ذنب أقترفه ولم يتب منه ، فلعل هذه الأمور هي التي تسببت في الابتلاء ولا ينبغي أن يستهين الواحـد منـا بـذنب صغير ، أو تقصير يقع منه ، فيستبعد أن يكون ذلك هو السبب فيما حدث ٠

٠٠٠ فلربما كان الابتلاء بسبب تهاون البعض في أداء الصلاة فـي أول وقتهـا والصلاة في أول وقتها من أحب الأعمال إلي الله ٠

٠٠٠ولربما كان الابتلاء بسبب تساهل البعض فيما لا ينبغـي التسـاهل فيـه ، والتوسع في دائرة المباحات ، والوقع في دائرة الشبهات بل والمحرومات

قال عز وجل ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور : ٦٣)

٠٠٠ولربما كان الابتلاء بسبب انشغال البعض بالدنيا والانغماس فى ملهياتها ٠

٠٠٠ولربما كان الابتلاء بسبب عدم القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر فيما بيننا ٠

---

[1]) ابن هشام ، السيرة النبوية ،مؤسسة علوم القرآن ،٤٢١/١

٠٠٠ولربما كان الابتلاء بسبب التقصير في أمر أخر غير ما ذكر ، فاللبيب تكفيه الاشارة ، وكل منا يعلم ماله وما عليه، والمقصد من هذه الكلمات هو المسارعة إلى محاسبة النفس وعدم احسان الظن بها ٠

٥-قد يكون البلاء عقوبة من الله عز وجل علي معصيه مقترفة

نعم قد يكون البلاء عقوبة من الله عز وجل علي معصيه مقترفة ، من ذلك ما حدث لأهل القرية التي كانت حاضرة البحر ، حيث كانوا يعدون في السبت إذ تأتيهم الحيتان في ذلك اليوم شرعاً ، ابتلاء لهم ، وقد كانوا منعوا الصيد ذلك اليوم ، فابتلاهم الله تعالي لمعصيتهم لأمره ، قال عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف :١٦٣)

فكانت النتيجة نجاة من قام بما عليه من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهلاك الباقين من العصاة ومن وافقهم ولم ينههم :

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ (الأعراف : ١٦٥-١٦٦)

وأهل مكة ابتلوا بالجدب والقحط بعد إعراضهم عن اتباع الحق ، عقاباً لهم ،وذلك كما ابتلى من قبلهم ٠

وقد ابتلي الله تعالي الصحابة الكرام في غزوة أُحد عقوبة لهم علي مخالفتهم أمر الرسولﷺ في المعركة فبعد أن أظفرهم علي عدوهم ، سلطه عليهم بسبب المعصية ، قال عز وجل ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾

(ال عمران :١٥٢)

٦-يبتلي الله عباده ليمحو سيائتهم

من أسباب البلاء قد يكون لذهاب السيئات ويكثر حسنات عن أبي بكر بن أبي زهير قال : اخبرت أن أبا بكر قال : يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية: (لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ) (النساء:١٢٣) **فكل سوء عملناه جزينا به ، فقال رسول الله :" غفر الله لك يا أبا بكر ، الست تمرض؟ الست تنصب ؟ الست تحزن ؟ الست تصيبك اللاواء ؟ قال : بلي ، قال : فهو ما تجزون به))** (الامام أحمد) [١]

أي إنك تحصل علي حسنات بصبرك علي هذه الأشياء ، فالحسنات يذهبن السيئات ،

قال الله تعالي : ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (هود : ١١٤ – ١١٥)

[١]) الإمام أحمد ، مسند احمد بن حنبل ، مسند العشرة المبشرين بالجنة ،مسند الخلفاء الراشدين ،مسند ابى بكر الصديق ﷺ ، دار إحياء التراث العربى ١٤١٤هـ -١٩٩٣م،(٦٥)

الفصل الثانى

الأنبياء أشد الناس بلاء

الابتلاء لم ينج منه حتي الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الذين هم أكرم الخلق علي الله وخير ولد آدم وسادت البشر بل كانوا هم أشد ابتلاء من اتباعهم فعن مصعب بن سعد عن أبيه قال : ((قلت يا رسول الله **أى الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**)) [1] وذلك لسمو مكانتهم وعلو درجتهم عند ربهم ، ولأنهم هم القدوة والأسوة الحسنة لاتباعهم في صبرهم وفي رضاهم بما قدره الله عليهم من بلاء ومحن وشدائد وكروب ومصائب واحزان بل لا تكاد توجد لحظة في لحظات حياتهم إلا وفيها المثال والقدوة والأسوة الحسنة لاتباعهم ، فهم الأسوة الحسنة والقدوة لكل المؤمنين قال الله تعالي :﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ (الأنعام : ٩٠)

وقال تعالى ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (الأحزاب : ٢١)

قال ابن كثير { هذه الآية الكريمة أصل كبير فى التأسى برسول الله ﷺ فى أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذاأمر تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبى ﷺ يوم الا حزاب فى صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج

---

[1]) المباركفورى ، تحفة الاحوذى،سنن الترمذى ،كتاب الزهد عن رسول الله، ، باب ماجاء فى الصبر على البلاء دار الكتب العلميه ،(٢٣٩٨)

من ربه عز وجل ،صلوات الله وسلامة عليه دائماً إلى يوم الدين ،ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا فى أمرهم يوم الاحزاب (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)أى هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ [1]

ومأأشد حاجة المسلم اليوم إلى التأسى برسول الله ﷺ فهو القدوة المثلى التى ينبغى للمسلم أن يتبعها ويسير على خطاها.

ويشمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث على النحو التالى :

المبحث الأول : الابتلاء في حياة الرسول ﷺ واصحابه
المبحث الثانى ابتلاء سيدنا يوسف عليه السلام
المبحث الثالث : كونوا مثل أيوب عليه السلام صبر على البلاء وهزم الشيطان

[1])ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم،٣/٤٧١

المبحث الأول

الابتلاء فى حياة الرسولﷺ واصحابه

وقد عاني نبينا محمد ﷺ من ابتلاءات كثيرة فقد تعرض لانواع عديدة منها علي مختلف مراحل حياته ٠

* بلاء موت الأحبه

فقد ابتليﷺ بوفاة أبيه قبل ميلاده ، وتوفيت أمه ﷺوهو ابن ست سنين فلم بلغ رسول الله ﷺ ثمانى سنين هلك جده عبد المطلب بن هاشم [1]، ثم ابتلى ﷺ بوفاة أولاده القاسم والطاهر وهما صغيران ثم بعد ذلك ابتلى ﷺ فى عام واحد بوفاة زوجته خديجة التي كانت تسانده وتساعده ، ووفاة عمه أبى طالب الذى كان يراعه ،ثم بعد ذلك وفاة بناته في حياته زينب وأم كلثوم ورقية إلافاطمة توفيت بعده بستة أشهر ٠

- **دعوة الخلق وهدايتهم**

نزول البلاء به ﷺمع بداية نزول الوحي عليه وذلك اشعار من الله عز وجل له بأن هذا الأمر الذي أكرمه به يحتاج إلي الصبر والمصابرة فهو قول ثقيل ألقاه الله عليه ، ومهمة جليله كلفه الله بها ، ولهذا كلما ضاق ﷺ من إعراض قومه ذرعاً صبره الله سبحانه وهون عليه ، وقد بُعث ﷺ في زمن هو أشد ما يكون

[1]) ابن هشام ، سيرة النبوية ، ١٦٩

بعداً عن الحق وتنكراً لسبيله وجهلاً بحقائقه ، فتعرض ﷺ للسخريه والتحقيروالاستهزاء والتكذيب والتضحيك، قصدوا بها تخذيل المسلمين، وتوهين قواهم المعنويه، فرموا النبى ﷺ بتهم هازله وشتائم سفيه، فكانوا ينادونه بالمجنون (وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [1] (الحجر : ٦)

ومع ذلك فلم توهنه ﷺاجتماعاتهم ولا كلماتهم التى يقذفونه بها ، بل صبر وصدع بالحق ، واستمر البلاء متعدد الوجوه ومتقلب الاطوار واستخفوا به وهم الاحقرون الاذلون ولكن عظمت نفسه فلم يضروه ﷺ ولكن أنفسهم يهلكون ،

قال الله تعالي: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (الأنعام :١٠)

وقال سبحانه وتعالي ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴾ (المطففين:٢٩-٣٣)

كانت أم جميل زوجة أبى لهب تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله ﷺ حيث يمر [2]

---

[1]) صفى الرحمن المباركفورى ،الرحيق المختوم ،١٤
[2]) ابن هشام، السيرة النبوية ، ٣٥٥/١

كان رسول الله ﷺ يذكر مالاقاه من أذى قريش قبل أن ينال الأذى أحداً من اتباعه يقول ﷺ ((**لقد أخفت فى الله ومايخاف أحد ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله ذوكبد إلاشئ يواريه إبط**)) "الترمذى" [١]

لقد وجه الرسول ﷺ من الفتن والأذى والمحن مالايخطر على بال فى مواقف متعددة وكان ذلك على قدر الرساله التى حملها، ولذلك استحق المقام المحمود، والمنزلة الرفعية عند ربه، وقد صبرعلى ما أصابه، اشفاقاً على قومه أن يصيبهم مثل ما أصاب الامم الماضيه من العذاب وليكون القدوة الحسنة للمسلمين فى الصبر وتحمل البلاء ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾

(الاحزاب :٢١)

- **بلاءُ إِيذاءِه صلي الله عليه وسلم في بناته رضي الله عنهن**

لقد أوذىﷺ فى بناته رقيه وأم كلثوم رضى الله عنهن كان رسول الله ﷺ قد زوج عتبه وعتيبه اولاد أبى لهب من رقيه وأم كلثوم فلما بادى قريشاً بأمر الله تعالى بالعدواه قالو: إنكم قد فرغتم محمداً من همه، فردوا عليه بناته، فاشغلوه بهن [٢]

---

[١])سنن الترمذى ، كتاب صفه القيامة والرقائق والورع عن رسول ﷺ ، باب منه ،[٢٤٧٢]
[٢])ابن هشام ، السيرة النبويه ، ٦٥٢

فُطلقت رقيه وأم كلثوم رضى الله عنهن من أولادأبى لهب حتى يُـؤذَى رسـول اللهﷺ

تأمروا عليه بالطرد ثم اتفقوا علي قتله

قال تعالي : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٣٠)

وأُخرج من بيته الذي نشأ وترعرع فيه ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ (التوبة : ٤٠)

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآيه " أى عام الهجرة لما هم المشركون بقتلـه أو حبسه أونفيه فخرج منهم هارباً بصحبة صديقه وصاحبه أبى بكر فلجأ إلى غـار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا فى آثارهم ثم يسيروا نحـو المدينـة فجعل أبو بكر ﷺ يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى رسول الله ﷺ مـنهم أذى فجعل النبى ﷺ يسكنه ويثبته ويقول (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) " [١] وكانت مكه أحب البلاد إلى رسول الله صلوات الله عليه فعن ابـن عبـاس قال:((**قال رسول اللهﷺ لمكه ما أطيبك من بلد وأحبك إلى ولـولا أن قـومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك**)) "الترمذى " [٢]

---

[١]) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ،٣٥٨/٢

[٢]) سنن الترمذى ، كتاب المناقب ، باب في فضل مكة،[٣٩٢٦]

وعن أبى سلمة عن عبدالله بن عدى ابن حمراء الزهرى قال **رأيت رسول الله ﷺ واقفا على الحزورة فقال والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ماخرجت))** "الترمذى " [1]

أخرج الرسول ﷺ من بلاده كما أُخرج قبله العديد من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام من ديارهم ، ولم ينقطع عنه البلاء ﷺ بتركه لتلك الدار التي عتي أهلها عتواً كبيراً وجاهروا له بالعداوة والبغضاء وواجهوه بالمحاربة والإيذاء بل استمر البلاء ﷺ به حتي بعد الهجرة إلي المدينة ، فقد حاول بعض الكفار من قريش قتله بالمدينة .

• بلاء الطَعن فى زوجته الطاهرة عائشة رضى الله عنها

طُعن رسول الله ﷺ في عرض زوجته الشريفة الطاهرة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وارضاها ، فبرأها الله من فوق سبع سماوات ونزلت براءَتُها فى سورة النور ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

[1]) سنن الترمذى ، كتاب المناقب ، باب في فضل مكة،[٣٩٢٥]

إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ (النور ١١ : ٢٠)

قال ابن كثير"هذه العشر آيات كلها نزلت فى شأن عائشه ام المؤمنين رضى الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والقرية التى غارالله عزوجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله تعالى براءتها صيانه لعرض رسول الله ﷺ فقال تعالى((**إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ**))أى جماعة منكم يعنى ماهو واحد ولا اثنان بل جماعة، فكان المقدم فى هذه اللعنة عبد الله بن أبى سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه، حتى دخل ذلك فى أذهان بعض المسلمين فتكلموا به ،وجوزه آخرون منهم ،وبقى الأمر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن " [1]

وكل هذا يدل علي أن المصطفي ﷺ قد تقلب في صنوف الابتلاءات وتنوعت عليه ضروب المحن ولاحقته أنواع الشدائد حتي أن البلاء قد استمر به إلي آخر

[1]) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ٢٦٨/٣

لحظات حياته ومفارقته الدنيا ، فما يزال يتضاعف البلاء عليه حتي عند قبض روحه ﷺ لتسمو مكانته ، وترتفع درجته وتعلو منزلته ويتكامل فضله فقد كان يوعك وعكاً شديداً أى أصابته الحُمى التى ترفع حرارة الجسد فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : ((دَخَلْتُ عَلَى رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلم وهو يُوعَكُ فَمَسِسْتُهُ بِيَدِى فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا . فَقَالَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَجَلْ ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ ، فَقُلْتُ : ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ ، فَقَالَ رَسُولَ الله صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَمَ : أجل . ثم قَال رَسَوُل الله صَلى الله عَلَيْه وَسَلَمَ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِن مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَها)) " رواه البخاري " [1]

وغيرها من الابتلاءات العديدة التى مر بها سيدنا محمد وهو لايغضب بل كان صابراً،شاكراً،عابداً لله سبحانه وتعالى ، راضياً بما قسم الله له ،وهذا يدل على إيمانه بالله عزوجل وثقته به وتوكله عليه.

*الصحابة والبلاء

لقد نال الصحابة الكرام من البلاء من معاملة الكفار لهم في أول أيام إسلامهم ، فكانوا المشركين يعذبونهم والحاصل أنهم لم يعلموا بأحد دخل فى الإسلام إلاوتصدوا له بالاذى والنكال ،وكان ذلك سهلاً ميسوراً بالنسبة للضعفاء المسلمين ،ولا سيما العبيد والإماء منهم ،فلم يكن من يغضب لهم ويحميهم ، بل كانت السادة والرؤساهم انفسهم يقومون بالتعذيب [2] وكانوا الكفار يحاولون أن

---

[1]) صحيح البخارى ، كتاب المرضى ، باب وضع اليد على المريض ، (٥٢٥٥)
[2]) المباركفورى ، الرحيق المختوم ،٦٦/١

يردوهم عن دينهم فعذب بلال رضى الله عنه أشد العذاب فهانت عليه نفسه فى الله تعالى ،وهان على قومه ،فقد كان أميه يضع فى عنقه حبلاً،ثم يسلمه إلى الصبيان ،يطوفون به فى جبال مكة ،ويجرونه حتى كان الحبل يؤثر فى عنقه ،وهو يقول :أحدٌ أحدٌ ،وكان أميه يشده شداًثم يضربه بالعصا ، ويلجئه إلى الجلوس فى حر الشمس ،كما كان يكرهه على الجوع ،وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجه إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره فى الرمضاء فى بلطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمه فتوضع على صدره ،ثم يقول لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ،فيقول وهو فى ذلك :أحد أحد ، ويقول :لو أعلم كلمة هى أغيظ لكم منها لقلتها ،ومر به أبو بكر يوماً وهم يصنعون ذلك به فاشتراه بغلام أسود ،وقيل بسبع أوراق أو بخمس من الفضة وأعتقه [1]

وغيره من الصحابة الكرام تعرضوا للعذاب من المشركين ،ولما أشتد البلاء بالصحابة رضى الله عنهم وطال عناؤهم من تنكيل قريش وبدأت نفوسهم تتململ لثقل وقعها ، صبرهم النبى ﷺ وقوى عزائهم بالتأمل فيمن كان قبلهم من أهل المحن والشدائد وأملهم بالفتح والنصر والأمان بكلمات لاتستقبلها إلا نفوس صُقلت مرءاة الإيمان فيها فأصبحت تستشرف المستقبل وتترقب نور فرجٍ بيقين لايكدره ريب فعن خباب بن الأرت رضى الله عنه **قال شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا ألاتدعو الله لنا قال كان الرجل يوضع فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنين ومايصدره ذلك عن دينه ويمشط**

[1])صفى المباركفورى ، الرحيق المختوم ،٦٥/١

بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم أو عصب وما يصدره ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لايخـــاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)) "البخارى" [١]

وتعرضوا ايضا الصحابة للبلاء والعذاب حتي بعد وفاة النبي ، ﷺ ، فضُـــرِبَ عمر بالسيف وهو يصلي ، واغتيل عثمان في بيته ، وطُعـــن علـــي بجـــوار مسجده ، وقُتل الحسين ظلماً وعدواناً ٠

فكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يواجهـــون الـــبلاء بالصـــبر و الـــدعاء واللجوء إلي الله كما أمرهم النبى ﷺ وكانت العاقبة لهم كمـــا قال الله تعـــالي :﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف :١٢٨)

فلم يواجهون البلاء بالشكوي والحزن والجزع إنما بالصبر والتضرع إلي الله ٠

[١])صحيح البخارى ،كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، [٣٤١٦]

المبحث الثانى

ابتلاء سيدنا يوسف عليه السلام

لقد مر سيدنا يوسف عليه السلام بكل الوان الابتلاءات والفتن والمحن من بداية حياته في الطفولة من كيد أخواته ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠ ﴾ (يوسف ٧ : ١١)

ثم بعد ذلك كيد امرأة العزيز ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ (يوسف: ٢٣)

﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ اى امتنع ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ (يوسف: ٣٢)

ولما كان الامر كذلك قال يوسف عليه السلام ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ (يوسف: ٣٣)

فهذا يدل على إيمانه بالله عز وجل فاستعصم واختار السجن على الفاحشة واثر عذاب الدنيا على سخط الله

قال ابن تيميه (يوسف عليه السلام خاف الله من الذنوب ،ولم يخف من اذى الخلق وحبسهم إذا اطاع الله بل اثر الحبس والاذى مع الطاعة على الكرامة والعز ونيل الرياسة والمال مع المعصية) [1]

فمكث في السجن عليه السلام بضع سنين بغير حق بل ظلماً وجوراً (فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) (يوسف: ٤٢)

هذه الابتلاءات لم تحن له ظهراً بل ظل ثابتاً علي مبادئه ، صابراً علي بلاءِه ، مترقباً رحمة ربه ، منتظراً انفراج الازمة التي وقع فيها ظلماً وعدواناً ٠ وقد كان عليه السلام مؤمناً بالله تعالي ، وداعياً إلي عبادته وحده وهو في ظلمات السجن ، فكان جزاؤه علي تقواه وصبره أن منَّ الله عز وجل عليه بعلم تفسير الرؤي ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (يوسف :١٠١) التي بواسطتها نجا من السجن ، وبُرئت ساحته ،وعُرفت امانته ، ونال الجاه والسلطان وطيبات الحياة ٠

وهكذا ابُتلي سيدنا يوسف عليه السلام ثم مُكن له ، فكان هذا الابتلاء تربية له من الله تعالي واعداداً ، ليتحمل تكاليف الرسالة وأداء الأمانة

[1])ابن تيمية ، مجموع فتاوى ابن تيمية ، التفسير ، تفسير سورة يوسف ،صبر يوسف مع قوة الدواعى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م ،١٣٣

المبحث الثالث

كونوا مثل أيوب عليه السلام صبر علي البلاء وهزم الشيطان

قال تعالى ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾ (ص:١ ٤)

ذكر الطبري أن الله تعالي سلط الشيطان علي أيوب عليه السلام لابتلائه ، فأخذ الشيطان ماله وأولاده ، ثم أن الله تبارك تعالي قال لإبليس : كيف رأيت أيوب ؟ قال إبليس : إن أيوب قد علم أنك سترد عليه ماله وولده ، ولكن سلطني علي جسده ، فإن أصابه الضر فيه أطاعني وعصاك قال : فسلط علي جسده ، فأتاه فنفخ فيه نفخة قُرح من لدن قرنه إلي قدمه ، قال: فأصابه البلاء بعد البلاء حتي حُمل فوضع علي مزبلة كناسة لبني إسرائيل ، فلم يبق له مال ولا ولد ، ولا صديق ولا أحد يقربه غير زوجته صبرت معه بصدق ، وكانت تأتيه بطعام ، وتحمد الله إذا حمد ، وأيوب علي ذلك لا يفتر من ذكر الله ، والتحميد والثناء علي الله ، والصبر علي ما ابتلاه الله ،قال الحسن : فصرخ إبليس عدو الله صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض ، جزعاً من صبر أيوب ، فاجتمعوا إليه وقالوا له : جمعتنا ، ما خبرك ؟ ما أعياك ؟ قال : أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلطني علي ماله وولده فلم أدع له مالاً ولا ولداً ، فلم يزدد بذلك إلا صبراً وثناءاً علي الله وتحميداً له ثم سلطت علي جسده ، فتركته قرحة ملقاة علي كناسة بني إسرائيل لا يقربه إلا امرأته ، فقد افتضحت بربي فاستغيث بكم فاعينوني عليه ، قال : فقالوا له : أين مكرك ؟ أين علمك الذي أهلكت به من

مضي ؟ قال : بطل ذلك كله في أيوب ، فاشيروا علي ٠ قالوا : نشير عليك ؟ أرايت آدم حين أخرجته من الجنة ، من أين اتيته ؟ فقال :من قبل امرأته ٠ قالوا : فشأنك بأيوب من قبل امرأته ، فإنه لا يستطيع أن يعصيها ، وليس أحد يقربه غيرها ٠ قال : أصبتم ٠ فانطلق حتي آتي امرأته وهي تصدق ، فتمثل لها في صورة رجل ، فقال : أين بعلك يا أمة الله ؟ قالت : هو ذاك يحك قروحة ويتردد الدواب في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع ، فوقع في صدرها فوسوس إليها ٠ وذكرها جمال أيوب وشبابه ، وما هو فيه من الضر ، وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبداً ٠ قال الحسن : فصرخت فلما صرخت علم أن قد جزعت ، فأتاها بسخله ، فقال : ليذبح هذا أيوب ويبرأ قال : فجاءت تصرخ : يا أيوب ! ياأيوب ! حتي متي يعذبك ربك ألا يرحمك ؟! أين الماشية ؟! أين المال ؟! أين الولد ؟! أين الصديق ؟! أين لونك الحسن ؟! قد تغير وصار مثل الرماد ! أين جسمك الحسن الذي قد بلي وتردد فيه الدواب ؟! اذبح هذه السخلة واسترح ٠ قال أيوب : أتاك عدو الله فنفخ فيك فوجد فيك رفقاً وأجبته ، ويلك ! أرايت ما تبكين عليه مما تذكرين مما كنا فيه من المال والولد والصحة والشباب ؟ من أعطانيه ؟ قالت : الله ٠ قال : فكم متعنا به ؟ قالت : ثمانين سنة قال : فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء الذي ابتلانا به ؟ قالت : منذ سبع سنين واشهر ٠ قال : ويلك ! والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ؟ ألا صبرت حتي نكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا به ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة ؟ والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة ٠ هيه ! أمرتني أن أذبح لغير الله ! طعامك وشرابك الذي تاتيني به علي حرام ، و (حرام) أن أذوق ما تاتيني به بعد إذ قلت

لي هذا ، فاغربي عني فلا أراك ٠ فطردها ، فذهبت فقال الشيطان : إن هذا وقد وطن نفسه ثمانين سنة ٠ [1]

فيجب علينا أن نكونا مثل سيدنا أيوب عليه السلام صبر علي البلاء ولم يجعل الشيطان يتمكن منه ويغويه بل كان متمسكاً بالله واثقاً به صابراً علي البلاء ، يعبده في السراء والضراء ٠

*العقيدة السليمة

إن العقيدة السليمة إذا رسخت في النفوس ، وحلت في القلوب ، لا تزحزحها صنوف الشدة والبلاء ٠ ولا ألوان المحنة والابتلاء ، فنبي الله أيوب عليه السلام لاقي ما لاقي من الآلام والشدائد والمكاره واحتمل ذلك حين تعرض للفتنة والابتلاء في نفسه وماله وأهله ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

(الأنبياء: ٨٣)

فانظر الى الادب فى قوله (مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ) ولم يقل فعافنى واشفنى ، يقول ابن القيم :فى ذلك جمع فى الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه ووجود طعم المحنه التملق له ،والإقرار له بصفة الرحمة ،وأنه أرحم الراحمين ، والتوسل إليه بصفاته سبحانه ،وشدة حاجته هو وفقره ،ومتى وجد المبتلى هذا كشف عنه بلواه)[2] فكان هذا البلاء اختباراً من الله جل وعلا ، وامتحان لجوهر عقيدته ، ودرجة تغلغلها في نفسه ، ونتيجة لهذا

---

[1]) الطبرى ، جامع البيان ،١٧: ٩٢
[2])ابن القيم ، مدارج السالكين ،٢/ ٣٨٠

الاختبار والامتحان ، فوجد الله تعالي عبده أيــوب صــابراً ، ثابتــاً ، منيبــاً ، متواضعاً ، لم يزده البلاء والشدة إلا إيماناً وتسليماً وإحتساباً وحمداً وشــكراً ، فما كان منه عليه السلام إلا أن رحمه الله تعالي ، وأنعم عليه ، وأحسن عاقبته ، وخلد ذكره في القران الكريم ، وجعله موضع أقتداء وتأسٍ للمؤمنين ، فيما اختص به من فضيلة الصبر الجميل.

*لا تغضب عند البلاء

لا تغضب عند البلاء ولا تحزن ولا تشكو .

فنبي الله سيدنا أيوب عليه السلام كان عبداً صالحاً أواباً ، ابتلي فصبر صبراً جميلاً ، فكان ابتلاءه بذهاب الأهل والمال والولد والصحة بجميع أنواع الابتلاء ، ولكنــه ظل علي صلة بربه ، وثقة به ، ورضاً بما قسم له . كان أيوب عليه السلام صــابراً شاكراً يلهج بالذكر والدعاء ، والشكر ، لا يشكو ، ولا يعتب ، ولا يتــذمر ، ولا يغضب ، ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص : ٤٤)

فلم يزجره البلاء عن حالة أو يفسد من يقينه بربه الرحيم ، ولكنه كان أقوي إيماناً ، وأشد صله بالله ، وأعمر بالتقوى قلباً ولسان إيمانه يقول عن كل شئ فقده : كل شئ عارية استردها الله وديعة كانت عندنا فأخذها، فالحمد لله علي ما أعطي وأنعم ، فله ما أخذ وله ما أعطي ، وكل شئ عنده بمقدار ولا حول ولا قوة إلا بالله .

*يا صاحب الابتلاء تعلم من الأنبياء

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ (يوسف : ١١١)

تعلم يا صاحب الابتلاء من الأنبياء فاصبر كما صبروا ، واشكر الله كما شكروا كن مثلهم في كل شئ قال تعالى :﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام :٩٠) فهم القدوة الحسنة وهم الطريق إلي الجنة فإذا فعلت مثل ما فعلوا لهان عليك البلاء وكنت من أصحاب الجنة وكنت في الاعليين .

واعلم أن الأمور كلها مقدرة بقدر الله تعالي خيراً كان أم شراً ،فينبغي علينا أن تأدب بأدب الأنبياء مع رب الأرض والسماء .

قال الله تعالي : ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦)

فليس العطاء دليل علي الإكرام ، وليس المنع دليل الإهانة .

الفصل الثالث

المسلم دائماً في ابتلاء

علي العبد أن يعلم أنه في امتحان واختبار دائمين في هذه الدنيا، فالبلاء لابد منه ، ولهذا ذكر الله عز وجل في غير موضع أنه لابد أن يبتلي الناس .

*البلاء جزء من حياة الإنسان

فمن الضروري أن يدرك الإنسان أن البلاء جزء من حياته ووجوده فلم يخلق الله هذا الإنسان عبثاً ، بل كل حياته تقع في دائرة الابتلاء والامتحان فحياته قائمة علي البلاء والجهد والشقاء

يقول الله تعالي : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴾ (الإنشقاق:٦)

وبالتالي عليه أن يكون مستعداً ومستوعباً هدف وجوده في هذه الحياة ، وكيف يمكن أن ينسجم مع سنة الله في ابتلاه واختباره وامتحانه لذلك وجب علي الإنسان أن يضع المعايير الحقيقية في هذه الحياة الدنيا ، إن هذه الحياة هي دار الابتلاء هي دار الممر والعبور للآخرة ، ويجب عليه أن تبقي عيونه وقلبه متعلقاً بالآخرة ، لذلك يقول عز وجل ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص : ٨٣)

فهذه الحياة في حقيقتها ابتلاء وتمحيص واختبار يمتلك فيه الإنسان الإرادة الكاملة بالطاعة والمعصية ،﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس : ٧-١٠)

فمن اختار طريق الصلاح والهداية والطاعة فقد أفلح وفاز ، وأما من اختار طريق الضلال فقد خاب لذلك تعتبر الحياة الدنيا هي مرحلة حاسمة .

*الدنيا دار ابتلاء

فلا أحد ينجو من البلاء قال الله تعال ﴿ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ (المؤمنون:٣٠) فالابتلاء قدرنا ولابد منه ، فالدنيا هذه ما هي إلا ميدان اختبار وابتلاء ،فقد يحمل الزمن مكاره، لم تكن في الحسبان ومصاعب مثلاً ؛ قد يفتقر غني ،وقد يواجه إنسان ناجح فشلاً مفاجئاً ،وقد يفتقد آخر محبوبه أو يصبح رهن المرض فلا يجوز التشكي منها بل يجب التحلي بالشكر لله تعالي ، والالتزام بالطاعة والاستسلام لأمره والبقاء علي علاقة قوية بخالقهم سبحان وتعالي مهما تغيرت الظروف وتلونت ، ولعل الصبر علي المكاره والمنغصات التي تحفل بها الحياة هو إحدي أوجه هذه العلاقة المتينة مع الله سبحانه وتعالي فليعلم الإنسان طالما في الدنيا سوف يواجه ابتلاءات كثيرة ومتنوعة فعليه الصبر والرضا واللجوء إلي الله سبحانه وتعالي .

*الأصل في الدنيا هو الابتلاء والمكابدة والشقاء

أن الأصل في هذه الدنيا هو الابتلاء والمكابدة والشقاء قال الله عز وجل

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ (البلد : ٤)

فهذه الآية الكريمة تدل علي أن الإنسان يشقي ويعاني ويكابد مصائب الـــدنيا وشدائد الآخرة ٠

فالنعيم والراحة في الجنة أما خارجها فهو الشقاء بعينه ٠
فاعلم أيها العبد أنك دائماً تكون في ابتلاء وعدم راحة في الدنيا ويجب عليك أن تستقبل البلاء بالصبر والدعاء ٠
ويشمل هذا الفصل على مبحثين هما

المبحث الأول : بلاء المؤمنين
المبحث الثانى : حال بعض الناس عند البلاء

المبحث الأول

بلاء المؤمنين

يتعرض المؤمنون للبلاء لامتحان إيمانهم وصبرهم وشكرهم ، فمن البلاء الخوف والجوع ونقص الأموال والثمرات وضيق المعيشة والفقر وفقد الأحبة فيجب أن يواجه هذا البلاء بالصبر، وبالإيمان بالقضاء والقدر قال تعالي :

﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴾ (الفجر :١٦)

وأكمل الناس إيماناً اشدهم ابتلاء عن مصعب بن سعد ،عن أبيه قال :قلت يا رسول الله: **((أَى الناسِ أشد بلاء ؟قَالَ : الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ فيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلبا اشتد بلاؤه ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتركه يمشى عَلَى الأَرْضِ وَمَا عليه خَطِيئَةٌ))** "أخرجه الامام أحمد" [١]

فالبلاء من عند الله ويجب علينا أن نرضي بكل شئ من الله ونعلم جيداً أنه كما نشكر الله علي النعمة يجب أن نصبر علي البلاء وكما أن النعمة تفيدنا في الدنيا كذلك البلاء يفيدنا في الآخرة لأنه يطهرنا من ذنوبنا ويعلم الله الصابرين .

---

[١]) المباركفو رى ،تحفة الاحوذى ،سنن الترمذى ،كتاب الزهد عن الرسول ﷺ ،باب ماجاء فى الصبر على البلاء ،دار الكتب العلميه ،(٢٣٩٨)

* ضرورة البلاء للمؤمنين

فما يصيب المؤمنين من الشرور والأذى ، ضرورة لهم ؛ ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوي ، فالشدائد عبارة عن دروس وعبر وكسب للخبرات ؛ لأن فيه تربية وتمحيصاً لنفوسهم ، وحملها علي الصبر ، الذي جزاؤه الأجر بغير حساب ،وفيه ترويض للنفوس علي تحمل الأذي واكتساب التجارب والخبرات ، واكتشاف مالا يخطر علي البال ٠

*المؤمن يعلم أن البلاء أمر مقدر حسمه الله سبحانه وتعالي

فالمؤمنون يعيشون وهم مطمئنون أن مايحدث لهم هو أمر مقدر حسمه الله سبحانه وتعالى بسابق علمه فهو سبحانه قدر على المؤمنين اقضية متباينه ولطف من وقعها عليهم برحمته ليقووا على تحملها ويتقبلوها متمسكين بإيمانهم واضعين أنفسهم في دائرة عنايته هؤلاء قد آمنوا بربهم حقاًوصدقاً وأسلموا له ويرون ما يجري لهم من متغيرات فيتقبلونها بهدوء وسكينة لأنهم يعلمون قد رفعت الأقلام وجفت الصحف ، فالمؤمنون الذين فهموا حقيقة القدر وأدركوا سر الابتلاءات يرون في الكوارث؛كالمجاعة والفقر جانبا إيجابيا ،فلا يضيقون ذرعاً واعين أن سلوكهم الأخلاقي الذي يبدونه حيال الابتلاء أمر بالغ الأهمية في علم الله سبحانه لأن الله هو البصير فيري تصرفاتنا أثناء البلاء إذا كان جزع أو صبر فيجب علينا عند البلاء الصبر، فعندما يواجه المؤمنون بمثل هذه المكاره لا يكونون عرضاً للاكتئاب والضغوط والآلام والخوف والهلع لأنهم علي يقين أن الله سبحانه وتعالي سيبدل كل هذه المصاعب لتصبح خيراً ويسراً ٠

*المؤمن يعلم أن البلاء سوف يزول

الحقيقة أنه لا عبرة لعظم المشقات ومدي شدتها طالما إنها سوف تزول وتنتهي ، فالمؤمن يعلم أن الوقت يمر سريعاً وتنتهي كل مشكلة كطرفة عين ، فمهما كان البلاء عظيماً فإنه حتماً سيزول وقد أوضح القرآن لنا أن الله عز وجل وعد أن يجعل نهاية كل اختبار يُمتحن فيه المسلم برداً وسلاماً

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح :٥-٦)

والمؤمن يفهم ذلك؛ لذلك يصبر عند البلاء .

*موقف المؤمنين تجاه البلاء

يخبرنا الله تعالي أن المؤمنين سيخضعون في حياتهم لاختبارات كثيرة وستكون أنفسهم وأموالهم موضع اختبار ويواجهون مكاره جمة في كل مراحل حياتهم ، ولكن المهم هو متابعة سلوكهم الإيماني انسجاماً مع أخلاقيات القرآن الكريم في أوقات الشدائد ، فيبقون لربهم ذا كرين ولانعامه شاكرين .

فالمؤمنون يدركون أن هذه الابتلاءات كلها جزء من الامتحان ، لذا يتمسكون بالصبر فلا يمسهم السوء ويكونون هم الفائزين وقد عقد هؤلاء المؤمنون صفقة مع ربهم عز وجل مقايضين الحياة الدنيا بخلود الآخرة وهذا القرآن الكريم يقول ﴿ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (التوبة : ٨٨-٨٩)

أوضحت لنا الآيات السابقة أن الحياة الدنيا تعتبر بمنظور المؤمنين ميدان جهاد في الله لا يفترون حتي ينالوا رضوانه سبحانه وتعالي ، فالمؤمنون يعلمون أن الله سبحانه وتعالي يبتليهم في الدنيا وهم يواجهون هذا البلاء بالصبر وتفويض الأمر ولا يحزنون عند البلاء، ولكن يحزنهم الآخرة والعمل لها فكل ما يشغلهم رضا ربهم عليهم فهذا يدل علي قوة إيمانهم ٠

* لا مكان لليأس في حياة المؤمنين

إن الأمل والتفاؤل هو من أهم الأمور التي تعبر عن صحة النفس الإنسانية ، وبدون الأمل والتفاؤل يعيش الإنسان حياة بائسة يائسة ، لا يستطيع العطاء ولا الارتقاء ٠

فالأمل والتفاؤل هو القادرعلي أن يدفع الإنسان نحو التقدم والارتقاء والإنسجام مع واقعه الذي يحياه ؛ لذلك جاء الإسلام ليزرع ويغرس الأمل في نفوس المؤمنين ، ويخرج من حالة اليأس والقنوط ؛ لذلك كانت الآيات القرآنية والتوجيهات النبوية تزرع الأمل والتفاؤل في قلوب عباده الصالحين في ظل المحن والابتلاءات ٠

لا مكان لليأس في حياة المؤمنين ، فالأمل والتفاؤل هو وحده الذي يسكن القلب ، ويستولي علي المشاعر والروح ، فثمرة الإيمان ومواجهة الصعاب والمحن والابتلاءات هو الأمل والتفاؤل الدائم ٠

والمؤمن الصادق حتماً يعيش حالة اليقين والأمل في مواجهة الابتلاءات ولا يعرف اليأس والقنوط ٠

*الإيمان بالله قوة تشد أزر المؤمنين

قال تعالى : ﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ (الكهف :٣٩)

إن الشخصية القوية المستبشرة التي تبدو عند المؤمنين الصادقين أوقات الشدائد والمشقات لا يدركها من لا يؤمنون بقوة الله وقدرته المطلقة ، فالشك يساورهم ، وهم مرتابون في المصدر الذي يستمد منه المؤمنون قوتهم ، ويبقون في جهل إزاء القوة التي تمد المؤمنين بهذه الطاقة المؤيدة ، فالناس في عاداتهم أقوياء بما يملكون من وسائل مادية وعلاقات اجتماعية ، فتراهم دائمي البحث عن نوع من قوة تدعمها مصادر مادية مختلفة يظنوها مصدر القوة عند المؤمنين وهم جاهلون بأن قوة إيمان المؤمنين وعزتهم تنبع أصلاً من إيمانهم لقدر الله سبحانه وتعالي وثقتهم به ، إلي جانب إيمانهم الراسخ بالآخرة قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ (فاطر :١٠)

وايضا يجهلون أن المؤمن قوى لأنه يعلم أن ماأصابه من مصيبة فبإذن الله وأن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن يضروه بشئ لم يضروه إلا بشئ قد كتبه الله عليه ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (التوبه :٥١)

وتحفل حياة الأنبياء والصالحين بأمثلة خالدة تفجر هذه الطاقات من معين الإيمان بالله تعالي والثقة به .

وتمثل قصة سحرة فرعون نموذجاً رائعاً في هذا السياق ، حيث أظهر السحرة بعد إيمانهم بالله عز وجل قوة إيمانية فذة عندما هُددوا بالموت من قبل فرعون ، فقد حاول فرعون أن يرهبهم بالتنكيل والموت ليبعدهم عن سبيل الهدي الذي جاء به موسي عليه السلام، فكان جوابهم أن لا خشية إلا من الله تعالي وأن ما سيصيبهم هو من قدر الله تعالي فيهم، وبقي السحرة المؤمنون رغم شدة التهديدات متمسكين بإيمانهم واثقين بربهم عز وجل وما كان لهم أن يُظهروا ذلك كله لولا صدق توجيههم إليه سبحانه وتعالي

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (طه : ٧١-٧٣)

فالإيمان بالله عز وجل هو القوة الحقيقية التي تشد أزر المؤمنين عند البلاء.

*كلما زاد الإيمان كلما زاد البلاء

نعم كلما زاد إيمانك بالله زاد البلاء ، فهذا لا يحزنك بل يفرحك لأن قال رسول الله ﷺ ((أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)) [1]

[1]) سنن الترمذى كتاب الزهد عن الرسول الله ﷺ، (٢٣٩٨)

قال رسول الله ﷺ ((يقول البلاء كل يوم إلي أين أتوجه ؟ فيقول الله عز وجل إلي أحبائي ، وأولي طاعتي ، أبلو بك أخيارهم ، واختبر صبرهم ، وأمحص بك ذنوبهم ، وأرفع بك درجاتهم)) "الديلمى عن أنس" [1]

فالمؤمن يبتليه الله لرفع الدرجات ٠ لذلك كلما زاد الإيمان زاد البلاء ٠

*الابتلاءات والمحن تحقق الأمن والطمأنينة والسكينة في نفوس المؤمنين

فحين يعيش المؤمن واقع الابتلاء ويستقر الإيمان في النفوس يعيش حالة الأمن والسكينة والطمأنينة ٠

فالطمأنينة كحالة نفسية يدركها المؤمن في واقع البلاء والاختبار هو من أعظم التثبيت للمؤمنين في حياتهم وفي مواجهتهم للصعاب والشدائد والمحن والبلايا ، فالقلق والفزع أثناء ميسرة الإنسان في حياته تشكل عائقاً أمام تقدمه وإنسجامه مع حركة الكون ، ولكن الطمأنينة والسكينة هي التي تدفع الإنسان المؤمن نحو التقدم والارتقاء ، ومواجهة الصعاب والشدائد والمحن بثبات وصبر وتوكل ، دون أن تهزه ودون أن تحطمه وتسقطه ٠

أن حالة السكون والطمأنينة هي الحالة الطبيعية للمؤمنين الذين يثقون بالله ، لذلك نجد قول المؤمنين في غزوة الأحزاب ، كما قال تعالي

[1]) المتقى الهندى ، كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال ،مؤسسة الرسالة، بيروت ،١٩٨٩ ، (٦٨٥٠)

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب :٢٢)

فكلما اشتد الألم وزادت المحن علي المؤمنين اكسبتهم الثقة والطمأنينة بقدر الله كما قال تعالي مربياً المؤمنين علي التحمل والصبر ليسكن ويستقر في نفوسهم السكينة والطمأنينة بقوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة : ٢١٤)

فحين يري المؤمن ويعيش حالة الابتلاء يري وعد الله ويري قدره فيزداد إيمانه وتطمئن نفسه وتسكن جوارحه ويستقبل كل أقدار الله بنفس مطمئنة صابرة محتسبة .

*البلاء لا يتوقف ولا يتحول لإنه يسير بعلم الله

فالمؤمن يعلم أنه غير قادر علي إيقاف البلاء لإنه يسير البلاء بعلم الله وكم من آيه ترسخ هذا المعني ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة : ٢١٦)

فالبلاء عندما ينزل علي العبد فلا يستطيع العبد أن يفعل شئ إلا أن يصبر ويسلم أمره إلي الله ، ويجب عليه ألا يحزن أو يشكو لأن هذا لا ينفعه بل يضره يجعله

حزيناً في الدنيا، وفي الآخرة من الخاسرين والعياذ بالله ، فمهما تفعل لن يتغير البلاء طالما كُتب عليك ، فكل ما يسوء العبد حدوثه سوف يتحول إلي صـــالحه أن بقي متمسك بإيمانه بربه صابراً علي قضائه ،فهذه الاختبارات فترة تدريبيـــة تعمق إيمانه وتأصل سلوكه الأخلاقية فيصبح من الجانب الروحي أكثر نضـــجاً وفطنةً ، وترفع درجاته عند ربه في الجنة .

المبحث الثانى

حال بعض الناس عند البلاء

فبعض الناس عندما يتعرضون لمرض أوحادثة أومصيبه أوبلاء فسرعان ما يصبحون فريسة القنوط ، ويصف الله تعالي لنا هذه الشخصية الجاحدة التي غالباً ما تظهر عند الشدائد فيقول﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾

(الفجر:١٥ – ١٦)

وهكذا يبتلي الله تعالي الناس بالمنع والعطاء وفقاً لإرادته سبحانه فيبقي المؤمنين بكامل ثقتهم بربهم وامتنانهم له عزوجل وينقلب غير المؤمنين علي أعقابهم جاحدين نعمة الله تعالي منكرين جميل صنعه فيخسرون الدنيا والآخرة وقد تاتي ردة فعلهم علي شكل اكتئاب حاد يدفعهم للانتحار نعم بعض الناس عند المصائب يكون رد فعلهم بالانتحار واللجوء إلي المسكرات أو المخدرات ، فهم لا يفهمون هذه المصاعب فهماً إيجابياً ، ولا يقدرون الخير الذي يمكن أن تنطوي عليه ، ويشدد الله تعالي عليهم وطأه البلاء جزاء وفاقاً .

وبمعني آخر يسلط المولي عز وجل عليهم مصائب عسي أن يعودوا لطريق الحق فيتوبون ويلزمون جادة الإيمان ولكن غالباً ما تجعل هذه المنغصات قلوبهم أكثر قسوة فيزدادون بعداً عن خالقهم عز جل وانكاراً لجلال عظمته .

سبحانه وتعالي ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ . (الأنعام ٤٣ : ٤٤)

*حال الناس المحبة للدنيا

الذين أخلدوا إلي الأرض ظانين أن الحياة الدنيا دار مقام وبقاء فإنهم يشقون بما يعانون من بؤس والآم وغم وأنانيته ورغبات دنيويه ويداخل هذا الآلم جميع تفاصيل حياتهم ويتسم كل ما يفعلونه بانعدام القدرة علي معرفة الخير فشخصياتهم غير سوية وموافقتهم غير موزونة بموازين الخير والشر ، وأكبر همهم التفكير الدائم في مصالحهم الذاتية ظانين أن بخلهم وأنانيتهم تجلب لهم منفعة والسعادة دون رؤية ضرر هذا السلوك علي الناس الآخرين وكل من يحذو حذوهم يلحق به ما لحق بهم في الدنيا والآخرة لقد خسر الذين خسروا نعيم الجنة أخطر منه خسرانهم رضوان الله تعالي ورحمته ٠

وقد سمي القرآن هذه الحالة بـ " الخسران المبين "

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾

(فاطر : ٣٩)

ويستوعب أهل الإيمان هذه الدروس المؤثرة ، وهم يراقبون حال المنكـــرين والجاحدين

أن تحلي المؤمنين بأسمي الأخلاق وأرفعها يزيدهم نضارة وبهاء ،بينما ينزع نور الإيمان من وجوه المنكرين الجاحدين

قال عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ (يونس: ٢٧)

وطبيعي أن يحاسب كل فريق علي ما قدمت يداه بعد المرور تجربة هذه الحياة ، فيجازي المحسنون ويعاقب المفسدون .

*صوت الضمير وصوت النفس الأمارة أوقات الشدائد

يستمع الناس عندما يواجهون أية شدة لندءاين منبعثين مـــن عـــالمهم البـــاطن أحدهما صوت ضميرهم الحي يحثهم علي التزام السلوك الذي يرضي الله عـــز وجل ، فالذين استجابوا لهذا النداء سيختارون الصبر لوجه الله والثقة به سبحانه ، والنداء الثاني يحث علي العصيان والفسوق والأنانية والجبن وهذا نداء النفس الأمارة بالسوء فيصبحون للشيطان قرناء ولتوضيح مدي الخسران الذي يتكبدونه من جراء صفقة عقدوها مع الشيطان وكان من الضروري أن نعلم كيف مارس الشيطان تاثيره عليهم فقد قدم القرآن الكريم معلومات مفصلة فى هذا الموضوع، وحذر الناس من اتباع الشيطان ، فعندما خلـــق الله آدم عليه السلام أمـــر الملائكـــة

والشيطاين أن يسجدوا ، فسجدالملائكة طائعين ،وأبى إبليس بكبرياء وتغطـــرس أن يفعل كما فعل الملائكة، فَطُرد من الجنة لعصيانه ، ثم طلب من الله أن يمهله إلى يوم القيامة ليحاول إغواء الناس ،فأجابه الله سبحانه إلى طلبه معلماً إياه إنـــه لن يكون له سلطانٌ على عباده المؤمنين عندها أقسم الشيطان أن يغوى الناس بما يقدمه لهم من وعود كاذبة وخداع ليضلهم عن الصراط المستقيم ،ويذكر القرآن الكريم هذا القسم

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾

(الأعراف :١٦-١٨)

﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا

٦٣ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الإسراء:٦٢-٦٤)

مثلما ذكرت الآية ، يحاول الشيطان بمختلف السبل أن يبعد الناس عن الصـــراط المستقيم ، وينهاهم من تقديم الشكر لخالقهم عز وجل ، أو أن يعيشوا حياة خيرة ، ولهذا فإنه يسعي لجر الأكثرية من الناس ليكونوا في صفة مســـتغلاً نفوســـهم

الأمارة بالسوء ؛ لذلك نري الناس عندما يقعون في الشدائد يوسوس لهم الشيطان أنانية ألا يفكروا إلا في أنفسهم لتحقيق مصالحهم الشخصية مصوراً لهم التضحية والرحمة علي أنها أمور سلبية فيها الخسارة لهم

﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١٦٨ – ١٦٩)

فينبغي علي المسلمين ، لهذه الأسباب مجتمعة وعند مواجهة الشدائد والمنغصات والكوارث أن يتصرفوا وفقاً لنداء فطرتهم السوية كي لا يكونوا في صف الشيطان منفذين ما يريده من أنانية وانتهازية وإصرار علي الشهوات وكثير من الصفات السلبية الآخري ، وبالتالي ينحرفون عن أخلاقيات القرآن الكريم العظيم أما المسلمون الصادقون فيستمعون لنداء فطرتهم ويتخذون الصلاح لهم سبيلاً وقد صرح القرآن الكريم بضرورة اظهار الأخلاق الصالحة

(طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾

(محمد : ٢١)

يعلم كثير من الناس أن الإيمان الذي يظهر أثناء الملمات يدلل علي سمو الأخلاق فيقسمون بدورهم أن يبقوا مؤمنين في مثل هذه الأوقات العصيبة ولكن عند الامتحان قد لا ينسجم سلوكهم مع وعودهم التي قطعوها علي أنفسهم ، وقد يتصرفون بسلبية عند مواجهة أدني المنغصات وفجأة يستشيطون غضباً إزاء أي موقف ويكيلون الاتهامات الساخطة بدلاً من مشاعر الحب والتسامح ويتحولون

في لحظة لمواقف الريبة والتمرد والفظاظة ، وهنا يتمايز المؤمن القوي عن الضعيف، فاما هؤلاء الذين ضعف إيمانهم فيحرق القلق قلوبهم، بينما تزيد مثل هذه الظروف المؤمنين الصادقين رسوخاً في الإيمان وثباتاُ علي الحق فكل الشدائد والمصاعب التي نواجهها في حياتنا اليومية ما هي إلا إختبار ووسيلة للوصول إلي السعادة السرمدية التي لا يمكن بحالٍ من الأحوال مقارنتها بما في الدنيا من متاع زائله هذه السعادة السرمدية والنعيم المقيم الذي يسعي المؤمنون إلي الحصول عليه ونيله في الآخرة ومن العجب أن هذه الشدائد تزيد المؤمنين المخلصين الصادقين طمأنينة وسكينة وثباتاً وتجلب لهم مزيداً من الحب والاحترام والتقدير من الناس المحيطين بهم ، فهي تعد بالنسبة إليهم ، نعمة اضافية تعمق إيمانهم وترسخ يقينهم بربهم عز وجل، وهي نعم كثيرة تزخر بفوائد جمة تجعل المؤمنين الآخرين يتخذون تلك الثلة المؤمنة مثلاً يحتذي به ولهذا أثر عام علي الناس المحيطين بهم بفضل الله تعالي كما ينالون أيضاً تقدير غير المسلمين واحترامهم ، ومن يعتقد أن هناك حدثاً ما خارج إرادة القدر الإلهي يكون بالضرورة تحت تأثير سلطان الشيطان القوي المثير الأول لهذه الشكوك فالشيطان يفرح أيما فرح عند رؤية من يقعون من الناس في الشر ، ويقع إيمان بعض الناس أحياناً تحت تاثير وساوس الشيطان فيعتبرون إن " حدثاً ما " ليس له أهمية واضحة يمكن أن يكون خارج دائرة القدر أو هو بعيد عن تحكم الله تعالي وعلمه وقصده فينبغي علي المؤمنين أن ينتبهوا لمثل هذه الافكار ويعرفوا كيف يتعاملون معها حال ورودها علي خواطرهم ، وهناك شئ آخر يتعين إداركه ، وهو إن فوات بعض الاحداث أو المواعيد مهما ضعفت قيمتها وقلت أهميتها له يمكن أن يكون فوائد جمة فهذا يعني أنه إن فات عليك شئ يضيعك ربما يكون فائدة لك وأنت لا تعلم ، وهكذا عندما يُسلمُ المؤمنون أنفسهم

ليد العناية الإلهية سيعلو شأنهم في عين الله سبحانه وتعالي وينالون رضوانه ويصلون إلي حقيقة الحب والرضا ٠

وهناك أمثلة لا تحصي مأخوذه من حياة الناس اليومية ، وعلينا أن ندرك هذه المسالة ولا ندعها تتسرب خارج عقولنا دون فهم فكل ما يواجه الناس من قضايا كبرت أهميتها أو صغرت هي واقعة لا محالة تحت قدر الله سبحانه وعلمه ولكن الشيطان يوسوس لنا بالقول أن مثل هذه الأحداث أمور أساسية وضرورية لمسيرة الحياة اليومية ولا علاقة لها بقضاء ولا قدر ؛ لهذا ينبغي أن يكون المؤمنون علي أكمل يقظة وأنتباه لرد مثل هذه الوساوس الشيطانية المدمرة ، ولكي نستطيع أن نفهم هذا الأمر لابد أن نبقيه حياً في اذهاننا عندها نري الحكمة و صلاح في كل ما يجري من أحداث لأن كل ما يحدث إنما يقع وفق خطةٍ الهيةٍ مرسومةٍ ، وهي نعمة عظيمة لأهل الإيمان في هذه الدنيا وفي الحياة الآخرة أن شاء الله ، فهذه حقيقة جليلة تمنح المؤمنين الحكمة والعزيمة والراحة والقناعة ٠

*** تتابع نعم الله علي العصاه استدراج[1] لهم وليس خيراً لهم**

، كثيراً ما نري في هذه الدنيا من أهل المعاصي ممن تتابع عليهم النعم ويظنون بأن الله تعالي راضٍ عنهم ، ولكن في الحقيقة إن هذا هو استدراج لهم حتـــي إذا أخذهم لا يفلتهم ، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه ،عن النبي ﷺ قال : **((إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَاعَلَى مَعَاصِيه مَايَحُبُ فَإِنَمَا هَو اِستَدرَاجْ ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله تعالى (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِـــهِ فَتَحْنَـــا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُـــوا أَخَـــذْنَاهُمْ بَغْتَـــةً فَـــإِذَا هُـــمْ مُبْلِسُونَ))** "رواه الامام احمد"[2]

---

[1] **الاستدراج لغة**:(رقاه وأدناه) منه على التدريج فتدرج هو (كدرجه) إلى كذا تدريجاًعوده إياه كأنها رقاه منزله بعد أخرى.واستدراج الله تعالى العبد بمعنى أنه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة وأنساه الا ستغفار، وأن ياخذ قليلاً قليلاً ولا يباغته ((تاج العروس :٥/٥٦٠ وقاموس المحيط :١/٢٤١))، ومعنى الاستدارج أن يعطيه الله كل ما يريده فى الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بعداً من الله((التفسير الكبير،الفخر الرازى:٢١/٧٩)) ،والفرق بين الاستدراج والكرامة والمعونه، وتعريف **الكرامه لغه**:الكرامه فى أصلها اللغوى اسم مشتق من لكرم الدال على علو القدرو المنزلة والميل إلى العطاء والإكرام والكريم اسم من أسماء الله الحسنى الدال على فيض الله وعطائه فهو تعالى ذى الجلال الإكرام، ومنه وجه كريم وكتاب كريم ((لسان العرب :١٢/٥١٠-٥١١)) والكرامات هى أمور خارقة للعادة يظهرها الله على ايدى أوليائه ،وهى تشبه المعجزة فى كونها مخالفة للطبيعة خارقة للعادة،ولكنها دون معجزات الأنبياء . وأما **المعونه هى**:الإعانه، ورجل معوان كثير المعونه للناس، واستعنت بفلان فأعاننى وعاوننى ، وفى الدعاء: رب أعنى ولاتعن على ((لسان العرب :١٢/٢٩٩)) فالمعونه: وهو ماينالله أوسط المسلمين ممن ليس مشهور بالطاعه ولا بالعبادة فيقيض الله له أمرا خارقاً للعادة بسب إيمانه، كمن نفرت منه راحلته بخلاء من الأرض فأمسكتها عليه شجرة، فهذا النوع مما يعين على امور الدنيا ليست داخلا فى نطاق الكرامة، ولكنه من العون يعين الله بها عباده ،فيقيض لهم مايعينهم على امور دنياهم مما هو خارق للعاده))

[2] **الإمام أحمد ، مسند احمد بن حنبل ،٤/١٤٥**

قال ابن القيم – رحمه الله – : { إذا رأيت الله يتابع عليك نعمة وأنت مقيم على معاصية فاحذره ،فإنما هو استدراج منه يستدرجك به } وقد رد الله سبحانه علي من يظن **بقوله:** ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ [1]

(الفجر : ١٥-١٦)

أي ليس كل من نعمته ووسعت عليه رزقه أكون قد أكرمته ، ولا كل من ابتليته وضيقت عليه رزقه أكون قد أهنته ، بل ابتلي هذا بالنعم وأكرم هذا بالابتلاء ٠

قال ابوحامد الغزالي – رحمه الله – : { فالكريم من أكرمته بطاعتي غنياً كان أو فقيراً والمهان من أهنته بمعصيتي غنياً كان أو فقيراَ} [2]

فليس عطائي إكراماً ، ولا منعي حرماناً ، أن عطائي ابتلاء ، وحرماني دواء

*من انت من هؤلاء وقت نزول البلاء ؟!

اعلم أنك – أمام المصيبة – واحد من أربعة :إما أن تكون جزعاً، وإما أن تكون صابراً ، وإما أن تكون راضياً ، وإما أن تكون شاكراً ٠

[1])ابن القيم ، الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى ،دار المعرفة ،١٤١٨هـ-١٩٩٧م ،٣٦
[2]) أبو حامد محمد الغزالى ، إحياء علوم الدين ،مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ١٩٩٦، ٣/٥٣٩-٥٤٠

أولاً : الجزع

فأما الجزع فهو شرهم ، وأبغضهم إلي الله تعالي وأعظم خسارة في الدنيا والآخرة ، فهو ساخط ناقم علي قدر الله وقضائه ، تقول جزع فلان ، أي لم يصبر علي ما نزل به من مصيبة ولم ينقطع لسانه علي الشكوي ، يلطم الخدود ، ويفعل أفعال الجاهلية ،ويغضب بشدة ، وغضبه لن يفيده أبداً ، بل غضبه سبب هلاكه ، ألا يعلم هذا الجازع أن سيد الاوفياء نهي الرجال والنساء عن ذلك فعن عبدالله رضى الله عنه قال:قال النبى ﷺ : **((ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوي الجاهلية))**[1] "الامام البخارى"

فأحذر النياحة والأصوات الملعونة ،**فعن انس بن مالك :سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((صوتان ملعونان فى الدنيا والاخره مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة))** [2] " البزار "

ثانياً : الصابر

هو الذى يصبر عند البلاء ولا يغضب ولا يشكى ،وهو الذى يُسلم أمره إلى الله ويُحسن الظن به ، فبصبره يصل إلي مرتبه كريمة ، ويوفي أجره بغير حساب

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر : ١٠)

---

[1]) العسقلانى ، شرح البارى فى صحيح البخارى ، كتاب الجنائز ، باب ليس منا من شق الجيوب ،دار الريان للتراث ،١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ،(١٢٣٢)

[2]) على الهيثمى ، كشف الأستارعن زوائد البزار ،مؤسسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩ م، (٧٩٥)

فأصبر واحتسب ،فمهما صبرت فهل هذا الصبر مهما عظم يساوي الخلود في الجنة والنظر إلي وجه الكريم؟! .

ثالثاً : الراضي

وأما الراضي فهو صاحب مرتبه أعلي من سابقيه، فقد صبر ورضى بقضاء الله ، وطابت نفسه بما حل به من قدر وقضاء من رب الأرض والسماء ، فالرضا أعلي درجة من الصبر !

انظر إلي سفيان الثوري أحد صالحي زمانه ياتيه رجل يسأله قائلاً له : {يا امام أريد أن يرضي الله عني ، فماذا أفعل ؟ فقال سفيان : أن ترضي عن الله يرضي الله عنك ، كلمات يسيرة لكنها تحتاج إلي بيان ، فقال له : كيف ذلك ؟! فقال سفيان : عندما تسُر للنقمة كسرورك للنعمة ، فإنهما قدران مقدران من الله عليك} [1].

فمن يرضي بقدر الله وقضائه يرضي الله عنه

قال رسول الله ﷺ **((أن اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : " يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ " ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيَقُولُ : " هَلْ رَضِيتُمْ ؟ ، فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ . فَيَقُولُ : " أَلا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟. قَالُوا : يَا رَبِّ ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ " أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً))** [2] " أخرجه البخاري "

---

[1]) هانى سعد غنيم ، الابتلاء تطهير ونعمة من رب الأرض والسماء،٥٤

[2]) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد ،باب كلام الرب مع أهل الجنة ،(٧٠٨٠)

فقدر الله وقضاؤه يمر بعدة مراحل قبل نزوله : العلم ، فعلم الله أن هذا الأمـــر خير لعبده فلان فاختاره له بحكمته ورحمته ، ثم يكتبه ويقضي به عليه ، فقـــدر الله ما بين السماء والأرض لم ينزل بعد ، فإذا نزل وحل بالعبد يسمي قضـــاء ، وعلي العبد أن يقابله برضا ، لأن غضبه وتمرده لن يغير منه شيئاً .

رابعاً : الشاكر

وأما الشاكر فهو أعظمهم جميعاً ، فقد جمع بين الأمرين السابقين وزادهم امراً ثالثاً ، صبر علي البلاء ، ورضي وأطمان قلبه له ، وشكر علي نزوله به ، ولقد اختص الله نفسه أن يجزيه علي شكره ، وهذه أعظم درجة .

الفصل الرابع

الابتلاء من عند الله

وهذه حقيقة يقينة ينبغي أن نعتقدها ، ونتذكرها ، ونستحضرها في كل أمور حياتنا ، فالله عز وجل هو المعطي والمانع ، وهو النافع والضار ، وهو المقدم والمؤخر ، وهو الباسط والقابض ، وهو الرافع والخافض ٠

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

فحقيقة الابتلاء أنه من عند الله قال عز وجل: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (ال عمران : ١٦٦)

وعندما يتحدث القرآن عن الابتلاء الشديد لبني إسرائيل علي يد فرعون يذكرنا بأن جوهر هذا الابتلاء أنه من عند الله عن طريق فرعون ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾ (البقرة :٤٩)

أرأيت بماذا ختمت الآيه﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾ وليس من فرعون ، وإن كان هذا لا يعفي فرعون من المسئولية ، فهو بالفعل يريد التنكيل بالفئة المؤمنة ، وطالما تربص بها ، وكاد لها وخطط لزوالها ٠ ولكن الذي مكنه من ذلك هو الله عز وجل ٠

فجوهر وحقيقة الابتلاء أنه من عند الله عز وجل ،وإذا شاء سبحانه ألا يقع لَمَا وقع.

*لابد أن يعلم المبتلي أن الذي ابتلاه أحكم الحاكمين

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (يوسف :١٠٠)

وتفسير هذه الآيه "(إنه هو العليم) بمصالح عباده (الحكيم) في أقواله وأفعاله وقضائه وقدره ومايختاره يريده "[١]

قال تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ (التين :٨)

قال ابن كثير " اى أما هو أحكم الحاكمين الذى لا يجور ولايظلم "[٢]

قال ابن القيم "{ لابد أن يعلم المصاب أن الذي ابتلاه بمصيبة هو أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وأنه سبحانه لم يرسل البلاء ليهلكه به ولا يعذبه ، وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحاً علي بابه ، لائذاً بجنابه مكسور القلب بين يديه رافعا قصص الشكوى إليه} [٣] .

---

[١])ابن كثير، تفسير القرآن، ٤٨٤/٢
[٢]) ابن كثير، تفسير القرآن، ٥١٣/٤
[٣]) ابن القيم ، زاد المعاد ،١٧٩

*والله يعلم وأنتم لا تعلمون

ومنعه سبحانه وتعالي عن عبده المؤمن بعض ما يتمناه ويرغب فيه ، ربما كان رحمه به وإحساناً إليه لا بخلاً عنه لأنه سبحانه أعلم بعواقب الأمور ، ربما أتت الفوائد من جهة الشدائد ، وربما أتت الشدائد من جهة الفوائد ، وربما أتت المسار من حيث المضار ، وربما أتت المضار من حيث المسار والله يعلم وأنتم لا تعلمون ،فالمصائب تكشف عجائب لا يدركها المبتلي والمصاب إلا بعد انقضائها

ويشمل هذا الفصل على مبحثين هما

المبحث الأول : فوائد فى المصائب والمحن والابتلاءات

المبحث الثانى : الرضا بقضاء الله وقدره

المبحث الأول

فوائد في المصائب والمحن والابتلاءات

الابتلاءات التي تصيب المسلم في حياته بشتي الصور ، لابد لهـا مـن فوائـد فبالرغم من أنها مكروهة للنفس ، إلا إن الله يكفر بهـا الخطايـا ويرفـع بهـا الدرجات ، كما إن الكرب يدفع بالمكروب إلي التوبة ، فيلجأ إلي الله وينكسر بين يديه ، وهذا الانكسار أحب إلي الله من كثير من العبادات ، فما أجمل أن ينكسـر المخلوق للخالق ٠

ومن هذه الفوائد التي تكون في مثل هذه المكاره

* إنها دليل علي محبة الله لعبده

فإن الله عز وجل إذا أحب قوماً ابتلاهم ،فالبلاء دليل على محبة الله لعباده ولكن قد يظن البعض أن نزول البلاء علامه على غضب الله تعالى ،ولكن النبى ﷺ نفى ذلك وجعل البلاء علامة على حب الله تعالى بل هو خير للمـؤمن مـن أن يدخر له العقاب فى الآخره قال رسول الله ﷺ ((**إن عظم الجـزاء مـع عظـم البلاء وإن الله عزوجل إذا أحب قوماً ابتلاهم**)) "أخرجه الترمذي " ([1])

قال رسول الله ﷺ ((**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة**))

"رواه الترمذي"[2]

---

[1]) الترمذى ،سنن الترمذى كتاب الزهدعن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء فى الصبر على البلاء ، (٢٣٩٨) .
[2]) الترمذى ، كتاب الزهد ، (٢٣٩٦) .

قال الحسن البصرى – رحمه الله – :{ لاتكرهوا البلايا الواقعة والنقمات الحادثه، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ،ولرب أمرٍ تؤثره فيه عطبك }[1] أى هلاكه

وقال الفضل بن سهل :{إن فى العلل لنعماً لا ينبغى للعاقل أن يجهلها ،فهى تمحيص للذنوب ، وتعرض لثواب الصبر ، وايقاظ من الغفله ،وتذكير بالنعمه فى حال الصحة، واستعداء للتوبه وحض على الصدق}[2].

فسبحانه وتعالي يبتلي عباده دليل علي المحبة لأن الابتلاء تطهير من الذنوب فسبحانه يريد أن يجعل عبده ليس عليه ذنوب ،فهذا دليل علي محبة الله سبحانه وتعالي لعباده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٠

*إنها تمحص العبد وتطهره من الذنوب

فما نصب ولا وصب ، ولا حزن ، ولا أذي ، ولا غم ، يصيب المسلم إلا كفر الله به من خطاياه ، وطهره به من ذنوبه ، وحط عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها في الخريف ، فيصير يمشي علي الأرض وما عليه خطيئة ٠

قال رسول الله ﷺ:**((مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولاحزن ، ولا أذي، ولا غم ، حتي الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه))**

"رواه البخاري ومسلم "[3]

---

[1]) ابن القيم ، شفاء العليل ،دار الفكر ،بيروت ،١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ٣٤

[2]) التنوخى ، الفرج بعد الشدة ، منشورات الشريف الرضى ، ١٣٦٤، ٣٤

[3]) العسقلانى ، شرح البارى صحيح البخارى ، المرضى (٥٣١٨)

وفي حديث آخر قال ﷺ :((**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتي يلقي الله وما عليه خطيئة**)) "رواه الترمذي "[1]

فهذه الاحاديث النبوية تبين لنا فضل الابتلاء في تكفير الذنوب ورفع المنزلة عند الله ٠

هذه المفاهيم تجعل المؤمن إيجابياً في تفاعله مع الابتلاء دون الخوف والنكوص ، بل ارتقاء وصعود نحو وجه الله ، فالمؤمن بحاجة دائمة إلي تذكر ذنوبه ومعاصيه حتي يدرك أنه بحاجة إلي العمل للتكفير عنها ، وهذه الابتلاءات هي بمثابة منحة إلهية ليكفر الله بها الذنوب عن المبتلي ٠

إن من نعمة الابتلاء علي المؤمن أن يقابل ربه وقد حطت عنه خطاياه وذنوبه ومعاصيه ، فتحول البلاء والابتلاءات إلي نعمة لا يشعر بها إلا من فتح الله قلبه وبصيرته ٠

*إنها تعرض العبد للثواب عليها

فإذا اصابت العبد المصيبة وصبر عليها عوضه الله بها ثواباً في الآخرة

قال الله تعالي : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد : ٢٣-٢٤)

[1]) الترمذى ، كتاب الزهد ، باب ما جاء فى الصبر على البلاء ، (٢٣٩٩)

وقال تعالي : ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾

(المؤمنون :١١١)

وقال عز وجل : ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (الإنسان :١٢)

فالثواب علي صبر الابتلاء كبير فعظم الجزاء مع عظم البلاء

*إنها تنبيهاً للعبد من الغفلة

فالمحن والمصائب تنبه العبد من غفلته ، وترجعه إلي الله عز وجل ، وتقربه إليه ، وتزيده تعلقاً به سبحانه وتعالي ، مع ما يصحبها من كثرة التضرع والالتجاء إلي الله ، والتذلل والإنكسار بين يديه سبحانه وتعالي عقب نزول البلاء والمحن به ، فالقلوب لو تركت في عافيه دائمة لربما غلبت عليها الغفلة ، وضعف فيها نور الإيمان وجذوته والمحن توقظها من غفلتها ،فالمحن والمصائب والابتلاءات تجعل العبد يرجع إلي ربه ، ويخضع له ، ويتذلل بين يديه ، ويزيد قرباً إلي الله وتعليقاً به

*الابتلاء درس تربوي عملي يربينا

حقاً إن الابتلاء درس تربوي عملي يربينا ، ويربي النفوس المؤمنة علي الصبر ، وما أحوجنا إلي الصبر في كل شئ ، فلن نستطيع البعد عن الباطل ألا بالصبر عن معصية الله ، ولن نستطيع السير في مناحي الحياة المختلفة إلا بالصبر علي أقدار الله المؤلمة ، وما أجمل الصبر في ذلك كله فهو زادنا إلي جنة الخلد

والرضوان قال سبحانه وتعالي في ذلك : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت : ٣٥)

فالابتلاء يربي ويعلم الصبر والإيمان بقدرة وقدر الله ٠

*الابتلاء درس من دروس التوحيد والإيمان والتوكل

إن الابتلاء درس من دروس التوحيد والإيمان والتوكل ، وهو يطلعك علمياً علي حقيقة نفسك، لتعلم إنك عبد ضعيف لا حول ولا قوة إلا بربك فتتوكل عليه حق التوكل ، وتلجأ إليه حق اللجوء ، حينما يسقط الجاه ، والعجب ، والغرور ، والغفلة ، وتفهم أن الله قادر علي كل شئ، وإنك مسكين وضعيف تلجأ إلي القوي العزيز سبحانه .

*الابتلاءات والمحن والشدائد تدرب النفس علي المجاهدة والالتزام

تأتي الابتلاءات والمحن والشدائد تدرب النفس علي المجاهدة والالتزام ، فتكون بمثابة الاختبار الحقيقي للنفس وقدراتها في مواجهة الفتن والشهوات والصبر عليها ٠

الابتلاءات الربانية هي التي تكشف مكنون هذه النفوس التي أخلصت لربها ، وتدربها علي المواجهة لتنال رضا ربها ، فحين يعتاد المؤمن علي الابتلاءات تتوطن نفسه علي المواجهة ، وتتعزز لديه مجاهدة النفس ، فيصبح أكثر قدرة علي مواجهة المحن والاغراءات والابتلاءات ٠

*الابتلاء يكشف لنا حقيقة الدنيا وزيفها وأنها متاع الغرور

إن الابتلاء يكشف لنا حقيقة الدنيا وزيفها وأنها متاع الغرور ، وأن الحياة الصحيحة الكاملة الخالدة وراء هذه الدنيا ، في حياة لا مرض فيها ولا تعب :

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٦٤)

أما هذه الدنيا جهد وكبد ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ (البلد : ٤)

فهذا شأن الدنيا وهذه طبيعتها ، فبينما هي مقبلة إذا بها مدبرة ، وبينما هي ضاحكة إذا بها عابسة ، فما أسرع العبوس من إبتسامتها وما أسرع القطع من وصلها ، وما أسرع الابتلاء من نعمائها ، ولكنك تنسي هذه الحقيقة فياتي الابتلاء ، فيذكرك بحقيقتها ، لتستعد للاخرة .

فالابتلاء يذكرنا فلا نفرح فرحاً يطغينا ، ولا نأس آسي يفنينا فإن الله عز وجل يقول ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد :٢٢ -٢٣)

***ابتلاءات الحياة الدنيا تلقي الضوء علي أسوأ ما في الإنسان من صفات .**

عندما يُبتلي الإنسان يعلم إذا كان إيمانه حقيقاً أم لا، لأنه إذا صبر علي البلاء فهذا يدل علي الإيمان الحقيقي ،أما إذا حزن وجزع علم أنه لا يؤمن بالله ولا يؤمن بقضاء الله ، فالابتلاءات تكشف أسوأ ما في الإنسان من صفات وفي هذه الحالة تكون فرص للإنسان حتي يعود ما هو فيه

ويتوب إلي الله ويكون إيمانه حقيقي ويؤمن بقضاء الله ويعرف كيف يواجه البلاء .

*الابتلاء محور تزكية النفس والإخلاص لله عز وجل

فالابتلاء محور تزكية النفس بحيث يتجرد الإنسان من أهوائه وملذاته ، في خضم المحن والابتلاءات التي يعيشها في تفاصيل حياته ، ويصبح قلبه وعقله معلقاً بخالقه ،فالابتلاء قادر على خروج العبد من دائرة الغفلة ،فالرجوع يتحقق بتزكية النفس وتطهيرها من سيأتها بالإخلاص والصدق مع الله .

*البلاء دواء

قال ابن القيم – رحمه الله – : { فلولا إنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا واعتوا ، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والامتحان علي قدر حاله ، يستفرغ به من الاداوء المهلكة ،حتي إذا هذبه ونقاه وصفاه آهله لأشرف مراتب الدنيا ،وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه } ([1])

فإن كثيراً من الناس عبدٌ لهواه وليس عبداًلله ، يعلن أنه عبدلله ،ولكن إذا ابتلي نكص علي عقبيه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين قال تعالي :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (الحج : ١١)

[1]) ابن القيم ، زاد المعاد ، ١٨٠

المبحث الثانى

الرضا بقضاء الله وقدره

قال رسول الله ﷺ ((أن عظم الجزاء مع عظم البلاء وأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط)) "رواه الترمذي" [١]

فقضاء الله عز وجل حتم ، وقدره واقع ، وخير للعبد أن يرضي بالحكم ، وليتمثل للأوامر ، ويقف عند النهي ليكون من الناجين يوم الدين ٠

وأهل الرضا يلاحظون حكمة البلاء وثواب الرضاء بالقضاء ينسون الم البلاء ، فإذا زاد الرضا عند الإنسان لم يشعر بالالم

قال ابن القيم –رحمه الله – : {أنه إذا لم يكن راضياً عن ربه فهو ساخط عليه ، إذ لا واسطة بين الرضا والسخط ، وسخط العبد علي ربه مناف لرضاه به رباً ، فإذا كنت تؤمن بالله أنه ربك فرضي بقضاء ربك ولابد من الرضا لأن الله حكيماً يعلم بعواقب الأمور فكل حكم وقضاء يكون حقاً لأن الله لا يخلق ولا يقضي عبثاً }[٢]

فالرضا بقضاء الله وقدره يمثل حقيقة الإيمان في أعلي مرتبة ، ولا يصل إليه إلا من استقر الإيمان في قلبه وسكن وجدانه وروحه ، لذلك تبقي هذه الدرجة من أعلي المراتب التي يسعي المقربون والمخلصون والصادقون إليها ، وحتماً الابتلاءات المتكررة والمتنوعة تصقل المؤمن وتزرع فيه الرضا بقضاء الله وقدره.

---

[١]) الترمذى ،سنن الترمذى ، كتاب الزهد ، باب ماجاء فى الصبر على البلاء ، (٢٣٩٨).
[٢]) ابن القيم ، مدارج السالكين .١٨٨/٢

*الشكوى تنافى الصبر

قال ابن القيم – رحمه الله – {إن الصبر حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن التشكي} ([1])

فكيف تكون صابراً وأنت تشكو ؟!

قال ابن القيم – رحمه الله – { الجاهل يشكو الله إلي الناس ، وهذا غاية الجهل بالمشتكِى والمشتكَى إليه فإنه لو عرف ربه لما شكاه ، ولو عرف الناس لما شكا لهم ، حينئذ يتحقق التوحيد الخالص} ([2])

فلا تشتكا إلا إلي الله فهو الذي يتولاك ويرفع ما بك من بلاء ٠

*طريق الجنة محفوف بالمكاره والشدائد والمحن والابتلاءات

إن طريق الجنة ليس مفروشاً بالأزهار والرياحين ، بل محفوف بالمكاره والشدائد والمحن والابتلاءات ٠

قال رسول الله ﷺ ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات)) "الترمذى " [3] والزاد في هذا الطريق هو الصبر والتقوي ، فيحتاج المؤمن إلي الصبر علي المكاره ليدخل الجنة والي الصبر عن الشهوات لينجو من النار

---

[1]) ابن القيم ،مدارج السالكين ،١٥٦/٢
[2]) ابن القيم ، الفوائد ٠ ٨٧
[3]) الترمذى ،سنن الترمذى ، كتاب صفة الجنة ،(٢٥٥٩)

قال تعالي : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد : ٢٢ -٢٤)

فالصبر علي البلاء والمحن والشدائد يدخلك الجنة .

قال الطبرى : { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة وتصيبوا من ثوابى الكرامة ولم اختبركم بالشدة ،وابتليكم بالمكاره ،حتى أعلم صدق ذلك منكم ، بالإيمان بى ، والصبر على ماأصابكم }.[1]

*استمرار الامتحان حتي الموت

يبقي الإنسان رهن الامتحانات يكابدها حتي يوافيه الأجل فعلي الناس أن يجعلوا كل لحظة من حياتهم منسجمة مع أوامر الله تعالي ذاكرين جلال عظمته سبحانه ملتزمين بطاعته ، وهناك أمر مهم يتعين فهمه جيداً ، فلو أن كل من علي الأرض تركوا سبيل الإيمان وكفروا بالله ما ضر ذلك الله تعالي مقدار ذرة ، ولو أن أحدهم طيلة حياته عمل عملاً صالحاً ، ثم تولي علي عقبيه في آخر عمره ووافاه الأجل وهو على ذلك لحبط عمله ولنال غضب الله عز وجل فالعبرة بالخواتيم

فعلي المؤمنين أن يأخذوا حذرهم ، فالشيطان عدوهم وعدو الإنسانية الأول ، ولن يدخر وسعاً في استغلال أماكن ضعفهم وأوقات غفلتهم حتي لحظة رحيلهم

[1]) ابن هشام ، السيرة النبوية ،١١٧/٣

ليغويهم عن الصراط المستقيم ولهذا كانت لحظة الموت من أخطر اللحظات أما أن يقول قائل : أنا مؤمن بالله عز وجل وعملت ما بوسعي لنيل رضاء ربي وقد أمنت لنفسي النجاة والخلاص ، فهو في وهم وغرور ، والقرآن الكريم يخاطبك يا من أردت النجاة ألا تنقطع عن عبادة ملؤها الخوف من الله تعالي والطمع في رحمته حتي لحظة الفراق الحاسمة ٠

(تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (السجدة : ١٦)

وليفكر كل مسلم في هذا الامر ملياً

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (ال عمران : ١٠٦)

فعلي المؤمنين أن ينتبهوا ما دامت هذه الاخطار محدقه بهم ، فلا يغفلوا عنها حتي اللحظة الأخيرة من آجالهم خوفاً من الأرتداد علي الأعقاب ، فالاحساس بالطمأنينة يمنع الإنسان من التزود من العمل الصالح ، والاعتقاد بأن الجنة مضمونة يدفع صاحبه إلي التقهقر والتراجع وصف القرآن الكريم ذلك بقوله :

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ (العلق:٦-٧)

فاحرص أن تقدم من الأعمال ما يرضي ربك عز وجل

*الثبات علي الأخلاق الساميه عند المشقات والشدائد

من الطبيعي أن تمر علي الناس في اليوم الواحد أمور عديدة متباينة كالشعور بالارهاق والجوع والضعف ، ولكن قد يكون المسلمون محل اصطفاء من الله ليمروا بمحن تكون معاناتهم خلالها أشد وطأة فتري فرقاً شاسعاً بين المؤمنين وغير المؤمنين من سلوكيات أخلاقية حيال المواقف ذاتها ٠

وقد يؤدي ما يحلق بغير المؤمنين من مشقة وابتلاء إلي العصيان والخوف فاقدين الأمل والأستقامة لأنهم لا يؤمنون بالآخرة أصلاً ، فكل ما يفعلونه نابع من حرصهم علي شئون الدنيا ومتاعها ٠

ويوقن المؤمنون كذلك أن الله وحده سيوفيهم أجورهم لمعاناتهم المرض ومختلف الشدائد وأن الدنيا وما عليها مصيرها إلي زوال وبذلك فلا تنقصهم الفطنة والحزم والثبات علي مبادئهم ، وقد علموا من القرآن الكريم أن الله سيمد من عمل في سبيله بالمدد والقوة الروحية ، فهم مدركون أن ابتلاءات الحياة الدنيا تولد احساساً عظيماً بالطمأنينة عند مواجهة المشقات ولن يكونوا أبداً فريسة سهلة للخوف والقلق والاكتئاب بحكم إدراكهم المجريات الأحداث إنها اختبارات علي الطريق لا تؤثر عليهم ولا تغيرهم عن مبتدائهم وهي الثبات علي الأخلاق الساميه فهم يتعاملوا بالأخلاق الساميه عند المشقات لأنهم يؤمنون بالله وبقضاء الله٠

فعند المشقات والابتلاءات لابد الثبات علي الأخلاق الساميه والمعامله الحسنة وحسن الظن بالله لأن هذا اختبار فلابد من الفوز في الدنيا والنعيم في الآخرة هكذا هم المؤمنون حقاً ٠

*طاعة أوامر الله سبحانه وتعالي في أوقات الشدائد

تمثل استجابة المسلمين لأوامر الله سبحانه وتوصياته واحدة من أنبل ما يميز المؤمنين من الفضائل ، فهم لا ينتهكون شيئاً مما حرمه الله تعالي عليهم مهما بلغت حاجتهم أو زادت وطأة كربتهم ، ولن يعرضوا امانتهم واخلاصهم للشك والريبة عند تعرضهم لمرض أو ضرورة أو فشل أو اضطهاد ، ويود الشيطان أن يضل الناس عن سبيل ربهم القويم ليحملهم علي سماع نداء نفوسهم الأمارة بالسوء ، فيحثهم أن ينتهكوا ما حرم الله تعالي ويحجب عنهم سبل هداية ربهم عز وجل وتشاركه النفس الأمارة بالسوء لتحقيق الهدف نفسه موسوسة ومزينة لهم ارتكاب أسفل الأعمال وأرذلها محاولة علي سبيل المثال منع الناس من الاستيقاظ لأداء صلواتهم مزينة لهم النوم والإسترخاء وغير ذلك من السلوك الذي فيه معصية لله تعالي ، ويحدثهم الشيطان حديثاً يزين لهم فيه حب الراحة ويحول بينهم وبين القيام لأداء الطاعة

ولكن المؤمنون لا يصغون لهذا النداء السلبي فينهضون كل صباح بنشاط وحماس لأداء صلواتهم متيقنين أن هذه هي السبيل القويم نحو الإحسان والأخلاص الحقيقي ٠

فعند الابتلاءات يقوم المؤمنون بالله بطاعة الله من صلاة وصيام ويفعلون ما أمرهم ويبتعدون عما نهي الله عنه فبشري لهم ولكن غير المؤمنين يستسلمون لهوي النفس ووساوس الشيطان فيتركون العبادة ويفعلون ما نهي عنه ولا يفعلون ما أمرهم فيا ويل لهم ، ويخاطب القرآن الكريم المسلمين التواقين للعمل بمقتضي ما يرضي الله عز وجل ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ (القصص : ٨٠) ،وأمرهم سبحانه وتعالي بالصبر والصلاة﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴾ (البقرة : ٤٥) ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران : ٢٠٠) فيسابق بعضهم بعضاً مسرعين نحو عمل الخير مجتهدين للوصول إلي جنة ربهم الموعودة ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (المطففين : ٢٦) ، باذلين ما بوسعهم صابرين علي الشدائد والابتلاءات ، ولكن يحاول الشيطان رغم كل شئ بكافة السُبُلِ أن يُلبس غير الشرعي من الأعمال لباس الشرعية ويدلل علي صحة ما يذهب إليه إن غالبية الناس علي نهج ما يوحي به ، فيداول كثير من الناس المال الحرام غير ناظرين إلي كونه حلالاً أو حراماً متجاوزين تعاليم القرآن ومبادئه وهو كذلك يحاول اقناعاً أن ما تفعله الأغلبية هو عين الصواب ٠ بيد أن القرآن الكريم ينبهنا إلي شئ مهم إذ إن اولئك الذين يرتكبون الآثام دونما اعتبار لأي قيمة ليسوا حقيقية علي صراط ربهم المستقيم ولو كانوا هم الأكثريه من الناس

﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ (الأنعام :١١٦)

ويعملنا الله عز وجل من جهة ثانية إن قليلاً من الناس يتمثلون حقيقة الإيمان ولكن الأكثريه ليسوا علي صراط ربهم القويم ، ولهذا لا يقوي الشيطان علي خداع المؤمنين بل غالباً ما يكون تأثيره علي ضعاف الإيمان ومن ملأت الريبة عقولهم رافضين فكرة الإيمان بالله تعالي٠

فالمؤمنون يعرفون أن العمل الصالح يقف سداً منيعاً أمام تلبيسات الشيطان ووساوس النفس الأمارة بالسوء ، فعندما يتحلى المؤمن بشيم الكرام والولاء والصبر والأخلاص وغيرها من القيم الحميدة الأخرى ، تكون النفس الأمارة في أسوأ حالاتها وتكون نتيجة هذه الأعمال الطيبة لذة روحية وراحة بدنية يجدها المؤمن في نفسه ٠

*من وثق بالله وتوكل عليه لن يدخله الخوف والحزن

الثقة بالله والتوكل عليه تجعلنا لا نخاف من أي شئ ولا نحزن عند البلاء ٠

إذا كنت تريد لا تحزن فعليك الثقة بالله والتوكل عليه وهذا حال المؤمنين عندما يصيبهم بلاء فهم يثقون بالله ويتوكلون عليه وهم يفهمون أن هذا البلاء امتحان وأن الله لا يضيع أجر الصابرين علي البلاء قال الله تعالي ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (الأحقاف : ١٣)

قال الله تعالي : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ١١٢)

ويكشف الله لنا في آيات آخري أن عباده الذين امنوا واسلموا له قيادتهم قد استمسكوا بحبل الله المتين قال عز وجل :﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (لقمان : ٢٢)

وقال تعالي :﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة:٢٥٦)

أما من لا يثق بالله ويحزن عند البلاء ، فسينهار من اليأس والخوف والاضطراب وقد سدت أمامهم منافذ الأمل نحو النجاة ويبقون في شقاء وتعاسة روحية دائماً طالما انطفأ لديهم الأمل في نعيم الآخرة فالذين خفت أنوار إيمانهم لا يعرفون لهذه النعمة فينتهي الحال بهم إلي الإستسلام والقنوط حتي يلقوا ربهم قال الله تعالي : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (يونس : ٤٤)

فعليك الثقة بالله والتوكل عليه ولا تحزن عند البلاء ٠

* قضاء الله كله خير

أن الله لطيف بعباده فلا يقضي قضاء إلا وفيه خيرٌ لعبده . قال رسول اللهﷺ **((عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خيــر،وليس ذاك لأحــد إلا للمــؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له))** "مسلم" [1]

قال ابن القيم – رحمه الله – (فإن سبحانه لا يقضي لعبده قضاء إلا خيــراً له ، ساءه ذلك القضاء أو سره ، فقضاؤه لعبده المؤمن المنع عطاء وأن كان في صورة منع ، ونعمة وأن كانت في صورة محنة ، وبلاؤه عافية وأن كان في صورة بلية ، ولكن بجهل العبد وظلمه لا يعد العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذ به في العاجل وكان ملائماً لطبعه ، ولو رزق من المعرفه حظاً وافراً لعد المنع نعمة والبلاء رحمة وتلذذ بالبلاء من لذته وبالعافية) [2]

فقضاء الله كله خير .

*إن مع العسر يسراً

المؤمن يعلم جيداً إن مع العسر يسراً قال الله تعالي : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح :٥-٦)

---

[1]) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقاق ،باب المؤمن أمره كله خير ، (٢٩٩٩)
[2]) ابن القيم ، مدارج السالكين . ٢١٥/٢

وقال الله تعالي: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾

(البقرة : ١٨٥)

وقال الله تعالي : ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (الأعلي : ٨)

وقال الله تعالي: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ (الطلاق: ٤)

المؤمن معرفته للقرآن الكريم عون له في المصاعب والشدائد والابتلاءات لأن في القرآن وعد الله لنا أن مع العسر يسراً فكل فترة عصيبة كان يتبعها احساس عميق بقرب الفرج وزوال الشدة والمؤمن مدرك ما يمر بها من أحداث ينطوي علي أختبار قد أعد لهم ومقدرين ضرورة تهيئة أنفسهم لحياة الآخرة الخالدة وهو ما يمدهم بإحساس لاحد له من الطمأنينة عند مواجهة الابتلاءات متلقين من الله سبحانه أعظم البشائر وأسعدها

الفصل الخامس

كيفيه دفع الابتلاء

ما من منا ولم يمرعليه يوماً إلاوابتلاه الله باختباراً ليبلونـــا أياناأحســـن عمـــلاً، وليبين مدى أيماننا بالله وصبرنا على البلاء، فيجب علينا أن نصبرعلى الابـــتلاء وايضا أن نتبع الامور التى تدفع وتخفف عنا الابتلاء

ويشمل هذا الفصل على ثلاثه مباحث

المبحث الأول : الامور التى تخفف البلاء على المبتلى وتسكن الحزن وترفع الهم وتربط على القلب

المبحث الثانى : الواجب على العبد حين وقوع البلاء

المبحث الثالث : اذكار الكرب والبلاء

المبحث الأول

الأمور التي تخفف البلاء علي المبتلي وتسكن الحزن وترفع الهم وتربط علي القلب

هناك عدة أمور ما استحضرها العبد المؤمن وتذكرها وتدبرها وعمل بها خفت عنه الابتلاءات والمحن والمصائب ومن هذه الأمور ٠

١- قوة الإيمان

مما يخفف البلاء عن العبد قوة إيمانه بالله سبحانه وتعالي ومعرفته لربه حق المعرفة ، وهو من أعظم هذه الأمور ٠

والمؤمن كلما ارتقي في درجات الإيمان وصعد علي سلمه ، نال من معية الله تعالي الخاصة بحسب ذلك ، فيري تأييد الله ومعونته وحفظه ملازمة له ، كما

قال عز وجل: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال : ١٩)

وقال سبحانه وتعالي :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل : ١٢٨)

وقال تعالي ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٤٦)

ولعل من حكم الله تعالي أن يكون أشد الناس بلاء أعظمهم إيماناً ، وذلك – والله اعلم – لعلم الله تعالي بأن ما هم فيه من الإيمان واليقين والمعرفة الحقة بربهم

تجعلهم يستسهلون ما ينزل بهم من البلاء فمعرفة الله أنه حكيم يعلم كل شئ من الأمور التي تخفف البلاء

٢- تقوي الله

وهي خير زاد ، وأفضل عتاد ، فمن كان مراقباً لله في السر والعلانية ، حافظاً حدوده في الرضا والغضب ، مستمسكاً بشريعته في الشدة والرخاء ، متقياً له علي كل حال، فإن الله لا يخذله وهو أحوج ما يكون إليه ، فتقوي الله تكون سبباً في تخفيف البلاء والمحن بل ورفعها ، وسبباً في تفريج الكروب ٠

يقول تعالي: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾ (الطلاق : ٤)

قال تعالي : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ (الطلاق:٢-٣)

وقال علي لسان نبيه يوسف عليه السلام بعد إنتهاء محنته الطويلة وانكشاف الغمة

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (يوسف :٩٠)

فتقوي الله عامل مهم في تخفيف المصائب والمحن عن العبد المؤمن ، وعامل مهم لرفع البلاء ودفعه عنه

قال الشاعر:

عليك بتقوي الله واقنع برزقه فخير عباد الله من هو قانع

ولا تهلك الدنيا ولا طمع فيها فقد أهلك المغرور فيها المطامع

وصبراً علي نوبات ما ناب واعترف فما يستوي عبد صبور وجازع

ألم تر أهل الصبر يجزوا بصبرهم بما صبروا والله راءٍ وسامعُ

ومن لم يكن في نعمةِ الله عنده سوي ما حوت يوما عليه الإضالع

فقد ضاع فى الدنيا وخُيب سعيه وليس لرزقٍ ساقهُ الله مانعُ

فعليك بالتقوي الله هان عليك بلائك .

٣-الإيمان بالقدر خيره وشره والرضا به

ومما يخفف البلاء علي العبد إيمانه وعلمه ويقينه بأن هذا البلاء هو بقضاء سابق وقدر محتوم ، وإنه مكتوب عليه في كتابه من قبل أن يخرج لهذه الدنيا

قال الله تعالي : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ (الحديد : ٢٢)

وبالإيمان بالقدر وبما شرع الله يكتمل الإيمان ، وتثبت قدم المرء علي الإسلام والإيمان بالقدر خيره وشره والرضا به هو علامة علي صدق إيمان العبد بربه كما قال ﷺ **((لا يؤمن عبد حتي يؤمن بالقدر خيره وشره ، حتي يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه))** " رواه الترمذي " ([1])

فأساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن وما دام أن القضاء مفروغ ، وكل مقدر كائن ، وأن هذا البلاء النازل بقدر مكتوب ، ولم يكن ليخطئ العبد ، فما للجزع من المصائب والمحن والابتلاءات وجه ، بل ما ينجى المسلم إلا التسليم والرضا بما كتبه الله وقدره عليه .

---

[1]) سنن الترمذى ، كتاب القدر عن رسول الله ﷺ ، باب ماجاء فى الإيمان بالقدر خيره وشره، (٢١٤٤)

ومن أمن ورضي بما قدره الله وقضاه عليه عاش حياة هنيئة أمنة مطمئنة مستقرة ، ولا تزعزعه الفتن ، ولا توهنه المحن ولا المصائب فكل بلاء ومصيبة ومحنة بقضاء وقدر ، ولا ينجي حذر من قدر ، وإذا جاء التقدير لم ينفع التدبير ، وليعلم العبد المؤمن أن ما كتبه الله علي عبده من بلاء ومصائب ومحن واقعة بها لا محالة علي الراضي بها أو علي الساخط عليها ،ولكن من رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط والعياذ بالله .

قال ابن القيم : { ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه ، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به فيه ، وإلا جري عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه } . ([1])

ومن رضي بما قدر الله عليه من مصائب ومحن وابتلاءات خف عليه تحمل المصيبة والمحنة والبلاء ، وتحولت النقمة في حقه إلي نعمة ، ومن سخط سخط الله عليه .

فالعبد المؤمن الراضي بالله رباً يرضي بما يفعله به سيده ومولاه وخالقه ومدبر أمره يعطيه أو يمنعه ، يعاقبه أو يبتليه وانبه هنا إلي أن الرضا بالمقدور المكروه لا ينافي التألم وكراهة النفس له ، فهو كرضي المريض شرب الدواء الكريه ، ورضي الصائم بألم الجوع في اليوم الشديد الحر طمعاً ورجاء في نيل الثواب وعظيم الأجر .

---

[1]) ابن القيم ، الفوائد ،١٧٥

٤-الدعاء

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (الدعاء سبب يدفع البلاء ، فإذا كان أقوي منه دفعه ، وإذا كان سبب البلاء أقوي لم يدفعه ، لكن يخففه ويضعفه ، ولهذا الأمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة) [١].

فالدعاء دواء نافع مزيل للداء بإذن الله ٠ والدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخفضه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن قال رسول الله ﷺ **((لا يرد القضاء إلا الدعاء))**"رواه احمد والترمذي"[٢]

٥-الصلاة

فقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلي الصلاة

وقال تعالي :﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾

(البقرة – ٤٥)

وقال سبحانه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

(البقرة :١٥٣)

فالاستعانة بالصلاة من أكبر العون علي تخفيف البلاء ومن أعظم العون علي الثبات في الأمر عند نزول المحن ويحكي أن ابن حجر العسقلاني رحمه الله

---

[١]) ابن تيميه ، مجموعة الفتاوى ابن تيمية ، ١٩٣/٨

[٢]) سنن الترمذى ، كتاب القدرعن رسول الله ﷺ ، باب ماجاء لا يرد القدر الا الدعاء ،(٣٩ ٢١)

ذهب إلي القلاعة بمصر فأحط به اللصوص في الطريق فقام يصلي ففــرج الله عنه ٠

٦- تلاوة القرآن الكريم

من الأمور التي تخفف البلاء وتعين المبتلي تلاوة القرآن اناء الليل وأطراف النهار قال تعالي : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء:٨٢)

فالقرآن الكريم شفاء ورحمة وهدي للمؤمنين إقرأ القرآن يرض عنك الرحمن ويبتعد عنك الشيطان ، وتهتد بهدي الأنبياء صفوة الأنام ، فقراءة القرآن عنوان الإيمان قال الله تعالي: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ (البقرة :٢١ ١)

٧-الإستغفار

الزم طريق الاستغفار والإنابة ، حتي يرحمك ربك ، روي عن النبي ﷺ قال : **((من لزم الإستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كــل هــم فرجــاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب))** "رواه الامام احمد " ([1])

فالإستغفار يفرج الله به الكرب ، لإنه ما نزل البلاء إلا بذنب ، وما رفع إلا بالتوبة ٠ قال الله تعالي: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى :٣٠)

[1]) الامام احمد ، مسند احمد بن حنبل ،٢٤٨/١

فكثرة الاستغفار يفرج الله بها عن العبد المؤمن كربه ، ويخفف بها عن مصابه قال علي – رضي الله عنه – : {عجبت لمن يهلك والنجاة معه ، قالوا : وما هي ؟ قال : الاستغفار } ([1])

٨-كثرة الذكر

الذكر مع ما فيه من أجر عظيم ، وثواب جزيل ، ورفعه درجة ،وعلو منزلة ، ومحو سيئة ، فهو أيضاً قوت القلوب ودواؤها وغذاؤها وروحها وعمارتها ، وبه تخفف المصائب والمحن والابتلاء قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (الرعد :٢٨)

وبالذكر ستدفع الافات ، وتكشف الكربات ، وتهون المصائب ، وتجلي الهموم والأحزان ٠ والذكر يجعل القلب الحزين فرحاً ضاحكاً مسروراً

وهذا المعني ظاهر في قول رسول الله ﷺ **((دعوة ذي النون إذ دعاه وهو في بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شئ قط إلا استجاب الله له))** "أخرجه الترمذى"([2])

إن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب ، ويُيسر العسير ، ويخفف المشاق ، فما ذكر الله عز وجل علي صعب إلا هان ، ولا علي عسير إلا تيسر ، ولا مشقة إلا خفت ، ولا شدة إلا زالت ، ولا كربه إلا انفرجت ، فذكر الله تعالي هو الفرج بعد الشدة ، واليسر بعد العسر ، والفرج بعد الغم والهم ٠

---

[1]) الدينورى ، المجالسة وجواهر العلم ، (١٢٤٥)
[2]) سنن الترمذى ، كتاب الدعوات ، باب ماجاء فى عقد التسبيح باليد ، (٣٥٠٥)

٩-الأكثار من الصلاة علي النبي ﷺ

مما يخفف البلاء كثرة الصلاة علي النبي ﷺ فيها يزيل الله الهم علي العبد ، ويكشف بها الكرب ٠

روي الترمذي عن ابي بن كعب قال : ((قلت يا رسول الله كم أجعل لك من صلاتي ، قال : ما شئت " قلت : الربع ، قال " ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت النصف ؟ قال (ما شئت فإن زدت فهو خير لك :قال " قلت : فالثلثين ، قال : " ما شئت وإن زدت فهو خير لك " قلت : أجعل لك صلاتي كلها قال : " إذا تكفي همك ، ويغفر لك ذنبك)) [١]

قال الامام ابن القيم – رحمه الله { وسئل شيخنا أبو العباس عن تفسير هذا الحديث فقال كان لابي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه فسأل النبي هل يجعل له منه ربعه صلاة عليه فقال إن زدت فهو خير لك فقال له النصف فقال إن زدت فهو خير لك إلي أن قال أجعل لك صلاتي كلها أي أجعل دعائي كله صلاة عليك قال إذا تكفي همك ويغفر لك ذنبك لأن من صلي علي النبي صلاة صلي الله عليه عشرا ومن صلي الله عليه كفا همه وغفر له ذنبه هذا معني كلامه رضي الله عنه } [٢]

١٠ – الصبر

إن الصبر علي الابتلاء هو أمر إلهي جاءت الآيات القرانية والاحاديث النبوية إليه ، ومن الآيات التي جاءت تدعو إلي الصبر قال تعالي :

---

[١]) الترمذى ، سنن الترمذى ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ،(٢٤٥٧) .
[٢]) ابن القيم ، جلاء الأفهام فى فضل الصلاة على خير الأنام . ٣٤

﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾

(النحل :١٢٧)

وقال تعالي : ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ (الطور :٤٨)

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (ال عمران :٢٠٠)

وجاء في الحديث ((**من يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خير واوسع من الصبر**))

"رواه البخاري"[١]

فالصبر هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والدعة ، ومعني هذا أنه يتلقي البلاء بصدر واسع لا ينغلق بالضيق والسخط ،والصبر أنواع – فمنه ما هو صبر علي طاعة الله ، ومنه ما هو صبر علي معصية ، ومنه ما هو صبر علي البلاء والمحنة التي تنزل بالعبد وهو المقصود هنا قال لقمان الحكيم في وصيته لابنه ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (لقمان :١٧)

فما يخفف عن العبد ما نزل به من بلاء ومحن ومصائب التحلي بالصبر ٠

الخلقُ للخالق والشكر للـــ منعم والتسليم للقادر

وخالص البر ومحض التقي والورع الصادق للصابر

[١]) صحيح البخارى ، كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسالة ،(١٤٠٠)

والصبر علي اقدار الله مما أمرنا الله به واوجبه علينا كما في قوله تعالي :

﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾ (القلم:٤٨)

وهو خير الزاد عند المحن وعند نزول البلاء ، قال الله تعالي: ﴿ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ (النحل:١٢٦)

وهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فلا إيمان لمن لا صبر له وهو سبب في النصر علي الأعداء ، قال الله تعالي :

﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴾ (الأعراف:١٣٧)

وقال رسول الله ﷺ **((واعلم أن النصر مع الصبر))**[١] "الامام أحمد"

فالصبر أجره عظيم ، وثوابه جزيل فقد ضمن الله للصابرين أعظم الجزاء ، فأجر غيرهم محسوب ، وأجرهم بغير حساب وهو طريق من طرق الجنة ٠ فمن صبر علي مصيبة أو بلاء كان جزاءه الجنة فسبحانه وتعالي أمرنا بالصبر ووعدنا بالجنة وإذا كان الصبر صعب فالجنة عطاء غير محدود والجنة شئ كبير لا يدرك إلا بشئ كبير ألا وهو الصبر ٠

[١])ابن رجب الحنبلى ،جامع العلوم والحكم ،مؤسسة الرسالة ،١٤٢٢هـ -٢٠٠١م،٤٥٩

فإذا عرفت أنك سوف تدخل الجنة بغير حساب بسبب الصبر هان عليك صعوبة الصبر قال الله تعالي: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر :١٠)

فلماذا صعب علينا الصبر؟! فالصبر مفتاح كل خير

الصبر مفتاحُ كل خير *وكل شر به يهون*

اصبر أن طالت الليالي *فربما لساعد الحرون*

وربما نيل باصطبار *ما قيل هيهات أن يكون*

قال ابن الجوزي : { للبلايا نهايات معلومة عند الله عز وجل ، فلابد للمبتلي من الصبر إلي أن ينقضي آوان البلاء فإن تقلقل قبل الوقت لم ينفع التقلقل ،وإن الجزع لا يفيد بل يفضح صاحبه } [١]

ما أنعم الله علي عبد نعمة ، فانتزعها منه ، فعوضه مكانها الصبر ، إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه

الصبر وإن كان مراً مذاقه إلا أن عاقبته محموده ، فكل من صبر علي البلاء والمحن والمصائب تحولت مخاوفه أمناً ، وتحول تعبه راحه ، وتحولت مظان هلكته إلي فوزه ونجاة، وتحولت بليته إلي عطيه وعافيه .

[١]) ابن الجوزى ، صيد الخاطر ، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،١٤١٢هـ -١٩٩٢ م،١٥٩

- **عبودية في الضراء :**

وعبودية العبد المؤمن في قضاء المصائب الصبر عليها ، ثم الرضا بها وهو أعلي منزلة منه ثم الشكر عليها وهو أعلي منزلة الرضا ٠

فاصبر علي البلاء وارض بالقضاء فما بعد الشدة إلا الفرج

فاصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بإن المرء غير مخلد

واصبر كما صبر الكرام فإنها نوب تنوب اليوم تكشف فى غد

١١- احتساب الأجر

فما من مصيبة وبلاء ومحنة تقع علي العبد المؤمن فيحتسب أجرها عند الله إلا خف عليه حملها ، وهان عليه أمرها ، مع ما يعوضه الله عليها من الأجر العظيم والثواب الجزيل ، من تكفير الخطايا ورفع الدرجات

فإذا تفكر العبد المؤمن فيما أعده الله لأهل البلاء والمصائب والمحن من عظيم الأجر وجزيل الثواب هانت عليه مصيبته ، وخف عليه حملها ، وتحولت بلاياه إلي عطايا ، ومحنه إلي منحه ٠

- **حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها**

قال ابن القيم – رحمه الله – : { يحكي عن امرأة من العابدات إنها عثرت ، فانقطعت إصبعها ، فضحكت فقال لها بعض من معها : أتضحكين وقد انقطعت إصبعك ؟ فقالت : أخاطبك علي قدر عقلك : حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها اشارة إلي أن عقله لا يحتمل ما فوق هذا المقام من ملاحظة المبتلي، ومشاهدة

حسن اختياره لها في ذلك البلاء وتلذذها بالشكر له ، والرضي عنه ، ومقابلة ماجاء من قبله بالحمد والشكر} [1]

١٢- التفكير في الجزاء يخفف البلاء

مما يخفف البلاء ويهون الصبر عليه التفكير في الجزاء الذي أعده الله في النهاية قال ابن القيم – رحمه الله – في ملاحظة الجزاء {وعلي حسب ملاحظته ، والوثوق به ، ومطالعته يخف حمل البلاء ، لشهود العوض ، وهذا كما يخف علي كل محتمل مشقة عظيمة حملها ، لما يلاحظه من لذة عاقبتها ، وظفره بها ، ولولا ذلك لتعطلت مصالح الدين والآخرة ، وما أقدم أحد علي تحمل مشقة عاجلة إلا لثمرة مؤجلة ، فالنفس موكلة بحب العاجل ، وأنما خاصة العقل تلمح العواقب ، ومطالعة الغايات } [2]

١٣- علمه أنها أسهل من غيرها

مما يخفف البلاء علي العبد علمه بأن المصيبة التي نزلت به هي أسهل من غيرها وأخف ، وأنها لم تكن في دينه الذي هو عصمة أمره ، وإنما كانت في أمور دنياه الفانية .

- **تذكر وقت المصيبة**

قال عمربن الخطاب رضي الله عنه : (ما أُصبت بمصيبة إلا ونظرت أن لله علي فيها ثلاث نعم :

---

[1]) ابن القيم ، مدارج السالكين ،١٦٧

[2]) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ١٦٦

الأولي : أن الله تعالي هونها علي فلم يصبني بأعظم منهـــا وهـــو قـــادر علـــي ذلك .

الثانية : أن الله تعالي جعلها في دنياى ولم يجعلها فى دينى وهو قادر على ذلك.

الثالثة : أن الله تعالي يأجرني بها يوم القيامة [١]

قال ابن القيم – رحمه الله – : { فإنه ما من محنه إلا وفوقها ما هو أقوي منها وامر ، فان لم يكن فوقها محنة في البدن والمال ، فلينتظر إلي سلامة دينه وإسلامه وتوحيده ، وإن كل مصيبة دون مصيبة الدين فهينه وأنها في الحقيقة نعمة ، والمصيبة الحقيقة مصيبة الدين } [٢]

فما دفع الله عز وجل عن عبده من البلاء أعظم وأكثر مما أصابه ومتي علم ذلك حمد الله وشكره علي العافية .

١٤-علمه إنه لا حيلة له فى تفاديها

مما يخفف على العبد البلاء علمه إنه لا حيلة له فى دفعها وتفاديها فما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك رفعت الأقلام وجفت الصحف بما أنت لاق ، لا تبديل لكلمات الله ، ولا راد لحكمه ولا ينجي حذر من قدر ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فكل بلاء ومحنه بقضاء سابق وقدر محتوم وعندما يعلم العبد أنه لا قدرة ولا حيلة له علي دفع ما وقع به ، وأنـــه مكتـــوب عليه ، فيستسلم لحكم الله ويرضي بقضائه يخفف عليه عند ذلك بلاؤه ومصابه

---

[١]) ابى الدنيا ، الشكر ، دار النشر المكتب الإسلامى ،الكويت ،١٩٨٠، ٣٠

[٢]) ابن القيم ، مدارج السالكين ،٣٠٦

١٥- علمه أن ما أبقي له أكثر مما أُخذ منه

وما يخفف عن العبد البلاء أن ما أبقي الله له أكثر مما أُخذ منه ، وكفي ببقاء نعمة الإسلام نعمة تهون دونها كل المصائب والابتلاءات وإن عظمت ، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ (ولا تجعل مصيبتنا في ديننا) ([1])

قال ابن القيم – رحمه الله – في هذا المعني : { أن يعد نعم الله عليه ، وإيادية عنده ، فإذا عجز عن عدها ، وأيس من حصرها ، هان عليه ما هو فيه من البلاء ، ورأه –بالنسبة إلي أيادي الله ونعمه –كقطرة في بحر} ([2])

١٦- النظر إلي لطف الله بعباده المؤمنين

فعلم العبد أن الله لطيف بعباده رحيم بهم ، يخفف عنه مصابه ، لأن الله عز وجل ما اختار له ما اختاره إلا عن علم وحكمة كاملة ورحمة بعبده ، فالله هو اللطيف الخبير سبحانه وتعالي وإن ظهرت للعبد في وقتها محنة إلا إنها في حقيقتها منحة ، والعبد جاهل بعواقب الأمور والله عز وجل عالم بها وبما لها وحسن عاقبتها للعبد في دينه ودنياه وآخرته ، والله عز وجل عالم بما يصلح عبده فيختار له ما يصلحه وما فيه الخير له وأن ظهر للعبد في العاجل غير ذلك ، فالله عز وجل ما أنزل بعبده البلاء ليهلكه به بل ليُصلحه .

---

[1]) سنن الترمذى ، كتاب الدعوات باب ماجاء فى عقد التسبيح باليد ، (٣٥٠٢)
[2]) ابن القيم ، مدارج السالكين ،١٦٦

فهو سبحانه لطف بإبراهيم عليه السلام لما أُلقي في النار

قال الله تعالي : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ (الأنبياء :٦٩-٧٠)

فكانت عاقبة البلاء نصراً وغراً وعافيه ٠

وهو سبحانه لطف بهاجر وأبنها الرضيع إسماعيل عليه السلام لماذهب بهما إبراهيم حيث أمره الله ربه بواد غير ذي ذرع ، فكان عاقبتهما خيراً وجعل لهما لسان صدق فى الآخرين

وهو الذي لطف بيونس عليه السلام وهو في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ظلمة بطن الحوت ،وظلمة البحر، وظلمة الليل قال الله تعالي : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۝١٤١ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝١٤٢ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝١٤٦ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (الصافات :١٣٩-١٤٨)

وهو الذي لطف بيوسف عليه السلام وهو في قعر البئر حتي جاءت القافلة فأرسلوا بعد واردهم فأخرجه من قعر البئر ، ثم أُخرج بعد ذلك من السجن ، ومكن الله له في الأرض بعد إن كان مسجوناً ، وجمعه بأهله بعد طول فراق ، وقد عدّدَ عليه السلام نعم الله عليه بعد محنته ، كما قال تعالي:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠٠-١٠١)

وهو الذي لطف بأصحاب الكهف وهم في الغار فأماتهم فيه أكثر من ثلاث مائة سنة قال الله تعالي : ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ (الكهف : ٢٥)

ثم بعثهم من نومهم لما تبدل ذلك الحال الذي فروا فيه بدينهم ٠

وهو الذي لطف بموسي عليه السلام وهو طفل رضيع القته أمه في اليم ، فالتقطه ال فرعون ليعيش في قصر فرعون وينجو بذلك من القتل ، وتكون هلكة عدوه علي يديه فسبحان الذي لطف به وبقومه لما اتبعهم فرعون بجنوده حتي وصلوا البحر وصار البحر من أمامهم وفرعون وجنوده من ورائهم ، وقال قوم موسي إنا لمدركون ، قال موسي:﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء :٦٢)

واوحي الله إليه إن يضرب البحر بعصاه ، فضربه بها فانشق فكان كل فرق كالطود العظيم ، ومشي فيه موسي وقومه ، فاتبعهم فرعون وجنوده ، فأغرقهم الله في اليم ونجي موسي وقومه ٠

وهو الذي لطف برسول الله ﷺ في هجرته لما دخل الغار مع صاحبه الصديق رضي الله عنه ، والطلب من ورائهما ، حتي وقفوا علي فم الغار وصاروا بمكان لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصره وهو صاحبه ، ولكن الله لطيف بعباده ، رحيم بخلقه وأوليائه ، حكيم في اختياره ،حسن الصنيع فى تدبيره ،فنجاهما برحمة منه سبحانه وتعالى،فحقاًعلى العبد أن يرجو من الله فى محنته لطفاً،وينتظر منه فرجاً ومخرجاً

١٧- النظر إلي من هو دونه

ينبغي علي العبد المؤمن إن ينظر إلي من هو تحته ، ولا ينظر إلي من هو فوقه وأفضل منه ، وإلي من هو أتم عافيه منه حتي تخف عليه مصيبته وحتي لا يزدري نعمة ربه عليه ولطفه به ، وحتي لا يصيبه الهم والغم ، وقد يؤدي به ذلك ازدراء نعمة الله عليه وإلي التسخط والعياذ بالله

وعن أبي هريرية – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ

((إذا نظر أحدكم إلي من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلي من هو أسفل منه)) [١] " رواه البخاري "

في رواية لمسلم قال : **((انظروا إلي من أسفل منكم ولا تنظروا إلي من فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم))** [٢]

---

[١]) صحيح البخاري، كتاب الرقاق ، باب لينظر إلى من هو اسفل منه ولا ينظر إلى من هو وفوقه ، (٦١٢٥)
[٢]) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقاق ، (٢٩٦٣)

- **لست أنت وحدك**

فما يخفف علي العبد المبتلي بلاؤه ومحنته علمه أنه ليس هو وحده المبتلي ، ولا هو وحده الممتحن ولا هو وحده المصاب ، بل أن مصيبته مقارنة مع غيره يسيرة هينة ، وأنه أينما يمم بوجهه يمنه أو يسره وجد مصاباً بأعظم من مصابه ، ومبتلي بأشد من ابتلائه ، وممتحناً بأكثر من امتحانه

فعلي العبد أن ينظر إلي من هم حوله ممن محنتهم وبلاؤهم أشد من محنته وبلائه ، ليخف عنه بلاؤه وتهون عليه مصيبته ويسهل عليه تحملها

ولولا كثرة الباكين حولي على أخوانهم لقتلت نفسي

١٨- رجاؤه استيفاء حقه يوم القيامة

ومما يخفف علي العبد مصابه علمه أن هناك يوماً لابد ملاقيه وواقف فيه بين ربه وذلك يوم مجموع له الناس ومعرضون فيه علي الله بأعمالهم ، وكل واحد يستوفي فيه حقه كاملاً غير منقوص ويزيده الله من فضله

قال تعالي :-

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾

(النساء : ٤٠)

فمن أُصيب هنا كوفئ هناك ، ومن ابتلي هنا عوفي هناك ، ومن تعب هنا ارتاح هناك ، ومن حرم هنا ، أُعطي هناك .

١٩-علمه أن هذه الدنيا عمرها قصير

ومما يخفف عن العبد بلاءه علمه أن هذه الدنيا عمرها قصير ، وكنزها حقير

يقول الله تعالي مبيناً قصر عمرها﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۚ ﴾ (الأحقاف :٣٥)

ويقول تعالي : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾

(النازعات :٤٦)

فما أصاب العبد فيها من بلاء فهو إلي زوال عن قريب ، فما هي إلا أيام معدودات وإن طالت حتي تسكن النفس إلي جنب باريها ، وتسعد بقربه ، وتنعم بما أعده لها جزاء صبرها ورضاها بما أصابها في ذات الله في هذه الدنيا ٠

- **حقيقة متاع الدنيا**

قال رسول الله ﷺ : **((يؤتي بانعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيصبغ في النار صبغة ، ثم يقال : يا أبن آدم هل رايت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول :لا والله يارب ٠ ويؤتي بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة ، فيضبغ صبغة في الجنة ، فيقال له : يا أبن آدم هل رايت بؤساً قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا ، والله يارب ما مر بي بؤس قط ولا رايت شدة))** [١] " أخرجه مسلم "

فكل نعيم دون الجنة فهو حقير وقليل، وكل ما مر علي العبد المؤمن في هذه الدنيا من ابتلاءات ومحن وشدائد ومصائب وكروب واحزان ، فهي دون النار يسيرة وسهلة ٠

[١]) صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب صبغ أهل الدينا فى النار وصبغ اشدهم بؤسا فى الجنة ، (٢٨٠٧)

ومهما أصاب العبد المؤمن في هذه الدنيا من بلاء ومحن ونصب وتعب وضنك وكرب ومصائب وأمراض فإنها إلي زوال ، وما يبقي منها إلا الأجر والثواب

قال الله تعالي:﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ (الضحى :٤)

وقال تعالي : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (الأعلى :١٧)

ولو تفكر المؤمن في الدنيا وحقيقتها لعلم أنها إنما هي سجن كما قال النبي ﷺ:

((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))[1] "أخرجه مسلم"

قال المناوي : { ذكروا أن الحافظ ابن حجر لما كان قاضي القضاة مر يوماً بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار واثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والشناعة فقبض علي لجام بغلته وقال : يا شيخ الإسلام تزعم أن نبيكم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فإي سجن أنت فيه وإي جنة أنا فيها فقال : أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن وأنت بالنسبة لما أعد لك في الآخرة من العذاب الاليم كأنك في الجنة فاسلم اليهودي} [2]

فالدنيا دار البلاء والمصائب والكروب والمحن والاكدار ، وفيها قُتل الأنبياء ، وفيها أُوذوا وأُخرجوا من ديارهم وأوطانهم ، وفيها نكل باتباعهم ،فمن تدبر حقيقة الدنيا وأنها سجن المؤمن مهما اتسعت ، وأن عمرها قصير ، وأنها علي

[1]) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقاق (٢٩٥٦)
[2]) المنياوى ، فيض القدير ،٥٤٦/٣

زوال عن قريب ، وأن مرده إلي الجنة أو نار خف عن مصابه ، وهان عليه كربه .

٢٠- علمه أن هذا البلاء هو طريق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

فهم عليهم السلام أشد الناس بلاء ، وكذلك اتباعهم من بعدهم ، ومن سار علي طريقهم وسلك منهجهم .

أفلا يكون للعبد المؤمن في أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام أسوة حسنة ؟

قال الله تعالي:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ (الأنعام:٩٠)

وقال تعالي : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (الأحزاب:٢١)

فمن علم أن هذا هو طريقهم فتأسي بهم في صبرهم ، وفي تحملهم للمشاق والمكاره ، وفي رضاهم بما نالهم في سبيل الله ،وفي رضاهم بما قدره الله عليهم ، خف عنه بلاؤه ، وهانت عليه مصيبته .

٢١- القراءة في سير الأولين من الأنبياء واتباعهم والصالحين

مما يخفف عن العبد المؤمن مصابه وبلاؤه أن يقرأ في سير الأولين من الرسل عليهم الصلاة والسلام وما أصابهم من بلاء ومحن ، وكيف واجهوا هذه

الابتلاءات وصبروا عليها قال الله تعالي ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾ (هود:١٢٠)

وقال تعالي : ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف :١٧٦)

وقال تعالي:﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِۗ ﴾ (يوسف:١١١)

فالعبد المؤمن إذا قرأ قصص الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام ، وتدبر سيرهم وسير اتباعهم مع أممهم واقوامهم ، ولا سيما قصه نبينا محمد ﷺ مع قومه وما لاقاه من ابتلاءات ومحن وأذي، وكذلك الصحابة الكرام والسلف الصالح عليهم من الله الرضوان ، وما أصابهم من ابتلاءات ومحن في سبيل الله خف عنه بلاءه ، وهان عليه ما يلاقيه من أذي الخلق ، وسهلت عليه مصيبته ، ولعلم أن ما أصابه دون ما أصابهم عليهم الصلاة والسلام وما أصاب اتباعهم بكثير

فلا شك أن قراءة هذه السير والتدبر في هذه القصص سهل عليه شأن مصيبته

٢٢- أن يفعل مافعله الأنبياءعليهم الصلاة والسلام

كان الأنبياء صلاة وسلام الله عليهم عند البلاء والضراء يصبرون ويرضون ولا يحزنون ولا يجزعون ، وعند النعمة والسراء يشكرون ولايفترون ولايتكبرون٠ فهكذا يجب علي العبد المؤمن أن يفعل مثل ما فعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يصبر عند الضراء ويشكر ويحمد ربه عند السراء ولا يفعل مثل ما

يفعل بعض الناس الآن يحزنون عند البلاء ويتكبرون عند السراء وتشغلهم النعمة عن الله الذي أعطاهم ويجزعون عند الضراء وينسون أن هذا من عند الله وأن الله قادر علي كل شئ ،فيجب علي المؤمن أن يفعل ما فعله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٠

٢٣-انتظار الفرج وحسن الظن بالله

انتظار الفرج يخفف حمل المصاب ، ويخفف البلاء ، وخاصة إذا صاحبه حسن ظن بالله وثقة في أن بعد هذا الكرب وهذه المحن ياتي الفرج ويتبدل هذا الحال ، فمن المحال دوام الحال ، فلا ييأس العبد المؤمن من رحمة الله ٠

وحسن الظن بالله من مقتضيات التوحيد وعكسه من قوادح التوحيد قال الله تعالي: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (يوسف:٨٧)

وقال تعالي : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾ (الشورى:٢٨)

وقال علي لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (الحجر : ٥٦)

عن ابي هريرة رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله عزوجل **((أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسى وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذرعاً تقربت إليه باعاً وإن اتاني يمشي اتيته هرولة))**([1])

"رواه البخارى"

وانتظار الفرج وحسن الظن بالله يفتح علي العبد الأمل ، ويخفف عنه البلاء،

قال الله تعالي﴿ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴾ (الطلاق:١)

قال ابن القيم – رحمه الله – : { فإن انتظاره ومطالعته وترقبه يخفف حمل المشقة ولا سيما عند قوة الرجاء – أوالقطع بالفرج – فإنه يجد فى حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته: ما هو خفي الالطاف ، وما هو فرج معجل – وبه – وبغيره – يفهم – معني اسمه اللطيف } ([2])

فعلي العبد أن ينتظر دائماً من الله فرجاً ومخرجاً ، مما هو فيه من بلاء ومحن ، فمن المحال دوام الحال ، فمن ساعة ضيق وهم وحزن إلي ساعة فرج وفرح وسرور وبهجة .

قال الشاعر :

خليلي لا والله ما من مُلمةٍ	*تدوم علي حي وإن هي جلت*
فإن نزلت يوماً فلا تخضعن لها	*ولا تكثر الشكوي إذا النعل زلت*
فكم من كريم قد بلي بنوائب	*فصابرها حتي مضت واضمحلت*
وكانت علي الأيام نفسي عزيزة	*فلما رأت صبري علي الذل ذلت*

[1]) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه ، (٦٩٧٠)
[2]) ابن القيم ، مدارج السالكين . ١٦٦

وفى الحديث القدسى الذى يرويه النبى -ﷺ- عن رب العزة سبحانه وتعالي :

((أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء))([1]) "رواه أحمد"

فمن ظن أن ربه سوف يفرج كربه ،ويرفع عنه البلاء والمحن، ويكشف عنه كربه ، فسيجد ما ظنه بربه ، ولن يخيب رجاؤه فيه وإن طال زمنه فإن لله في كل حركة حكمة ، وفي كل ساعة فرجاً ، وبعد كل ضيق سعة ورحمة ،

فكل ضيق سياتي بعده سعة وكل فوت وشيك بعده الظفر

فحقيق بمن عرف هذا أن ينتظر من ربه فرجاً بقلب واثق مطمئن من مجيئه بلا شك ولا ريب ، كما أن بعد الليل صبحاً ، وبعد القحط غيثاً ، وبعد الفقر غني ، وبعد المرض عافيه ، وبعد الفراق اجتماعاً ٠

فلابد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر

انتظار الفرج عباده ، وهو من صفات أهل الإيمان ، وفي الغالب يأتي علي غير ميعاد ، وعند قرب اليأس منه ، قال الله تعالي : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (يوسف ١١٠)

فعند تناهي الشدة يأتي الفرج ، وعند تضايق حلق البلاء يأتي الرخاء

إذا تضايق أمر فانتظر فرجاً فاضيق الأمر أدناه إلي الفرج

فعلي المؤمن أن ينتظر من الله فرجاً ومخرجاً مما هو فيه من بلاء ومحن ومصائب ٠

وقال تعالي : ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ (المائدة:٥٢)

---

[1]) الهيثمى ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتائب الجنائز ، باب حسن الظن بالله تعالى ،(٣٨٨٧)

قال الشاعر :

عسي فرج يكون عسي *نعلِل نُفوسنا بعسي*

فلا تقنط وأن لاقيت *هماً يقبض النفسا*

فأقرب ما يكون المرء *من فرجٍ إذا يئسا*

وعلي العبد أن ينتظر من الله يسراً بعد ما أصابه العسر ، ذلك أن العسر بعده يسر لا شك فيه ولا ريب ٠

قال الله تعالي : ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (الطلاق:٧)

قال الشاعر :

إذا يسر الله الأمور تيسرت *ولا نت قواها واستقاد عسيرها*

فكم طامعٍ في حاجةٍ لا ينالها *كم أيسٍ منها أتاه بشيرها*

وكم خائفٍ صار مخيف ومقتر *تمول والاحداثُ بحلو مريرها*

وكم قد راينا من تكدر عيشهٍ *واخري صفا بعد انكدار غديرها*

وعلي العبد أن ينتظر من الله فرجاً حتي مع ضيق الحال ، وانسداد الأبواب ، وانقطاع الأسباب ٠

فكلما ضاق الحال ، وسدت الأبواب ،وانقطعت الأسباب جاء الفرج من أوسع الأبواب

ولرب نازلة يضيقُ بها الفتي

ذرعاً وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتُها

فَرجت وكان يظنها لا تفرج

المبحث الثانى

الواجب علي العبد حين وقوع البلاء

اولًا: أن يتيقن أن هذا من عند الله فيسلم الأمر لله

ثانياً: أن يلتزم بالشرع من طاعة ولا يخالف أمر الله فيعمل ما أمر به ويبعد عن ما نهي عنه الله ،ولا يتسخط ولا يسب الدهر ٠

ثالثاً: أن يتعاطي الأسباب النافعة لدفع البلاء ٠

رابعاً: أن يستغفر الله ويتوب إليه مما أحدث من الذنوب ٠

* بمن تستغيث وقت الشدة ؟!

إن قَدر الله قدراً ونزل بك فاستغث بالله أن يثبت قلبك علي الحق ، ويهديك ويكشف عنك ، قال تعالي : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ (النمل :٦٢)

فحينئذ من يجيبك غيره ؟! فالإنسان إذا وقع في مصيبةٍ يتوه عقله ، ويضيع فكره ، ولا يستحضر ذهنه في هذا المجال إلا لكل من يستطيع نصره ، ويدعو محبوب إليه مقرب أليس كذلك ؟! فانظر ممن تستمد القوة ؟! الإجابه :أستمد القوة من صاحب القوة كلها ، من الله ، أتدرى لماذا ؟! لتعلم أن لك رباً تلجأ إليه وقت

كربك ، لأن القوة لله جميعا، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾ (البقرة : ١٦٥)

لذا قال الله للمؤمنين صحابه النبي الأمين ﷺ وقت المعركة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (الأنفال : ٤٥)

لينزع الدنيا من قلوبهم وقت الأزمة والقتال ، وهم حينئذ ليس بينهم وبين الموت إلا دقائق محدودة بل أقل فالمؤمن الحق مهما أوتي من ضعف فهو قوي بـــالله ، ومهما أوتي من قوة فهو ضعيف فقيراً إلي عفو مولاه

*لا يكشف البلوى إلا الله عز وجل

اعلم ايها العبد أن لا يكشف البلوى عنك إلا الله سبحانه وتعالى فلا يكشف البلوي إلا الله : ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾

(الأنعام : ١٧-١٨)

فأنت لا تملك من نفسك شيئا ، ولا تملك لنفسك شيئا ، قال الله عز وجل ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ ﴾ (الأنعام:١٢)

واعلم أن ماعند الله لا يطلب إلا بطاعته ؛ فاحفظ الله يحفظك واذكره دائماً وأنت في رخائك وشدتك ، فذكر البدن الوفاء مع الله ، وذكر الروح الخوف والرجاء ، وذكر النفس الرضاء ، وذكر اليد العطاء ، وذكر اللسان الثناء ، وذكر الأذن الأصغاء إلي كل قول حسن فيه ذكر لرب الأرض والسماء .

فاعلم آيها الإنسان أن لا أحد يستطيع أن يفرج همك ولا يكشف بلائك إلا الله سبحانه وتعالي

*الله هو النافع والضار

فيجب على العبد عند وقوع البلاء أن يعلم جيداً أن الله هو النافع والضار قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنعام :١٧)

قال تعالي: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (يونس :١٠٧)

إذاً النافع والضار هو الله ، فلا أحد يستطيع أن ينفعنا أو يضرنا غيره

قال الله تعالي :﴿ لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ (الفرقان : ٣)

وقد أكد المعصوم هذا المفهوم ، فاستمع لرسول الله ﷺ وهو يقول لابن عباس ، وهو غلام صغير ، ليربيه علي الإيمان والتقي والعقيدة الصحيحة ، وما

أعظم حاجتنا اليوم إليها ! فنشأ هذا الغلام نشأة عظيمة ، حتي صار حبر الامة ، ورسول الله ﷺ أكد هذا المعني ، وأرسي هذا المبدأ العظيم ، فقال **((وأعلم أن الامة لو اجتمعت علي ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا علي أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت الصحف))** "رواه الترمذى" [1]

بل كان من دعائه(٠٠٠اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت .....) ([2])

فالله هو الذي يعطي ويمنع ، وهو الذي يضر وينفع ، هذه الأمور من اختصاص مولانا سبحانه ، فوالله الذي لا إله غيره لو صحت عقيدة الناس لعاش الناس في أمن وأطمئنان وإيمان ، وليكن ما يكون بعد ذلك ، فلن يقدر الله إلا الخير ، حينئذ يقول المؤمن في ثبات عند نزول البلاء : قدر الله وما شاء فعل ٠

[1]) ابن رجب الحنبلى ، جامع العلوم والحكم ، (٤٥٩)
[2]) صحيح البخاى ، كتاب الدعوات ،باب الدعاء بعد الصلاة ، (٥٩٧١)

المبحث الثالث

أذكار الكرب والبلاء

أوصانا النبي ﷺ أن نقول هذه الأذكار عند نزول الكرب والبلاء

١-عن سعد – رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ **((ألا أخبركم بشئ إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعاه ففرج عنه ، دعاء ذي النون : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين))** " أخرجه الترمذى " [١]

٢-عن أنس – رضي الله عنه – قال :((كان النبي ﷺ **إذا كربه أمر قال : يا حي يا قيوم برحمتك استغيث))** [٢] " أخرجه الترمذي"

٣-عن عبد الله بن جعفر عن علي – رضي الله عنه –قال : لقني رسول الله ﷺ**هؤلاء الكلمات ، وأمرني إن نزل بي كرب أو شدة أن اقولها : ((لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحانه تبارك وتعالى الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين))** [٣] " أخرجه أحمد "

٤-عن عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه – أن النبي ﷺ– قال : **((ما أصاب عبداً هم ولا حزن ، فقال : اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، اسألك بكل أسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استاثرت به في**

---

[١]) الترمذى ، كتاب الدعوات ،(٣٥٠٥)
[٢]) الترمذى ،سنن الترمذى ، كتاب الدعوات ، باب منه (٣٥٢٤)
[٣]) الإمام احمد ، مسند احمد بن حنبل ، (١ / ٩٤)

علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ألا أذهب الله حزنه وهمه ،وأبدله مكانه فرحاً))[1]

" أخرجه الإمام أحمد "

٥-عن ابي بكرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : **((دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلي نفسي طرفة عين ، واصلح لي شأني كله ، لا إله ألا انت))** [2] "أخرجه الإمام أحمد والبخاري"

٦-عن بن عباس رضى الله عنه أن نبى الله ﷺ كان يدعو عند الكرب **((لاإله إلا الله العظيم الحليم ،لاإله ألا الله رب العرش العظيم ،لاإله ألا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم))** [3] "رواه مسلم "

---

[1]) احمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، (١ / ٣٩١)
[2]) الإمام احمد ، مسند احمد بن حنبل ، (٥ / ٤٢)
[3]) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب دعاء الكرب ، (٢٧٣٠)

خاتمه

بعد كل هذا يجدر بالمرء أن يغير نظرته للابتلاء ، فبدلا من أن ينظر إليه علي إنه نقمة فعليه أن يعتبره رزقاً ونعمة ، فكم من المحرومين بذنوبهم ومعاصيهم حرمتهم الخطايا من أن يبتليهم الله عز وجل ، فهؤلاء يذهبون يوم القيامة وذنوبهم مثل الجبال يحملونها علي ظهورهم لم ينقص منها شئ لأن الله سبحانه وتعالي لم يبتليهم في الدنيا وبالتالي بقيت ذنوبهم علي حالها ٠

وهذا لا يعني أن العبد يتمني الابتلاء ويطلبه ولكن كل ما هو عليه الصبر علي البلاء واحتساب الأجر وحسن الظن بالله

وفي الختام أسال الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلنا من عباده الشاكرين والصابرين والفائزين أنه نعم المولي ونعم النصير وصلي اللهم وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلي أله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

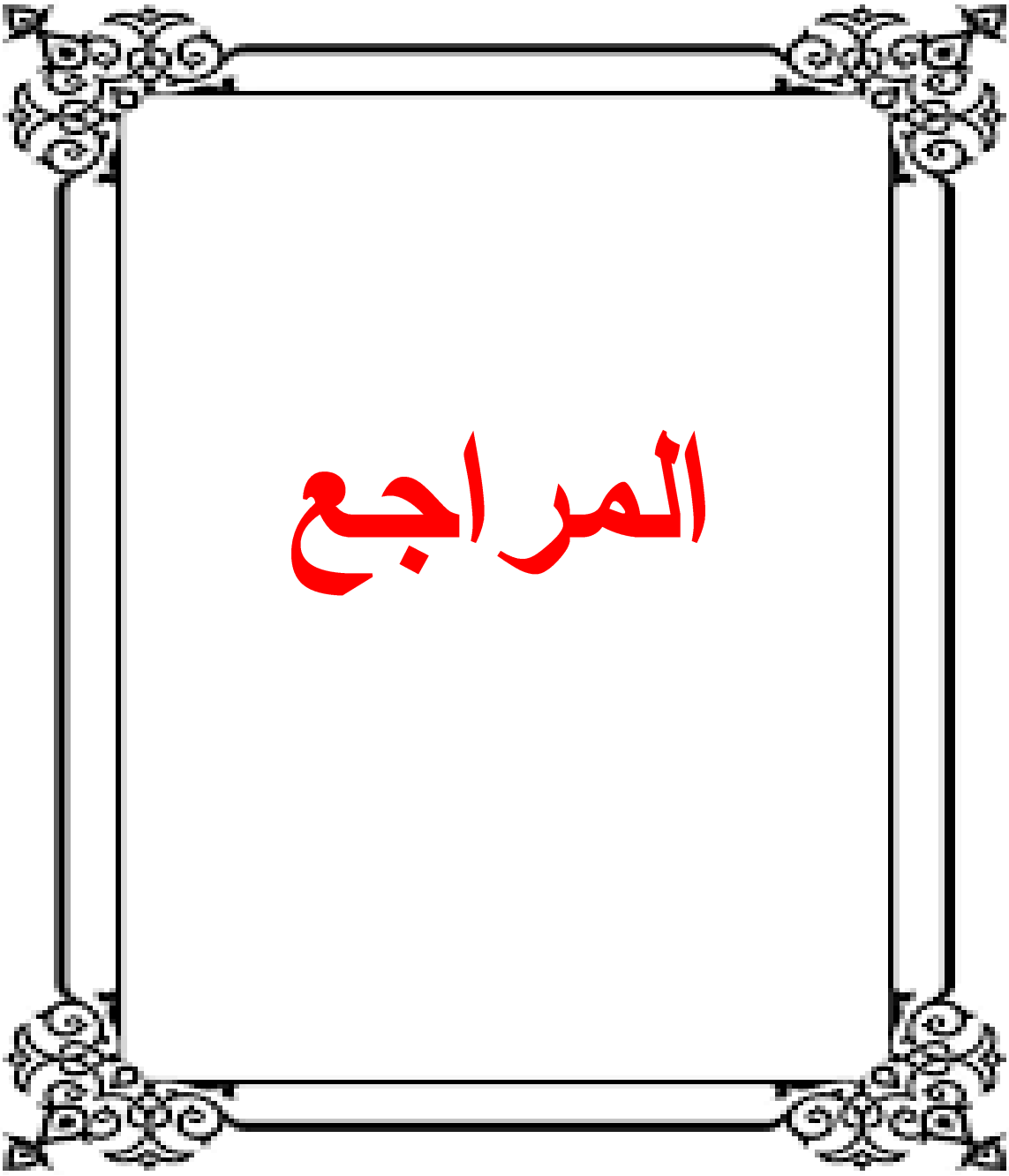
المراجع

المراجع

- القرآن الكريم

١-ابن كثير،أبى فداء إسماعيل بن كثير القرشى ، تفسير القرآن العظيم، دار المنار،القاهرة،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

٢-ابن القيم،شمس الدين ابو عبد الله ابن محمد بن أبى بكر ، تهذيب مدارج السالكين ،دار الكتاب العربى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م

٣-_____ ، زاد المعاد فى هدى خير العباد، مؤسسة الرسالة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

٤-_____ ، الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى دار المعرفه، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

٥-_____ ، جلاء الأفهام فى فضل الصلاة والسلام على محمد

٦-_____ ، الفوائد،دار الحديث،القاهرة،٢٠٠٣م

٧- ابن هشام،عبد الملك بن هشام، السيرة النبويه،مؤسسة علوم القرآن

٨- ابن منظور، لسان العرب،دار صادر،بيروت،١٩٩٠م

٩- ابن يتميه، تقى الدين أحمد بن عبد الحليم،مجموع الفتاوى ابن يتميه، مجمع الملك فهد،١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

١٠-ابن رجب الحنبلى، جامع العلوم والحكم، موسسة الرسالة،١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

١١-ابن الجوزى،ابوالفرج جمال الدين عبد الرحمن، صيد الخاطر، الدارالكتب العلمية، بيروت- لبنان،١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

١٢-أبى بكرعبد الله بن أبى الدنيا،وتحقيق محمد خير رمضان يوسف الصبروالثواب عليها،١٤١٨هـ - ١٩٩٧م،دار ابن حزم ، لبنان

١٣-ابى الدنيا، الشكر،دار النشرالمكتب الإسلامى، الكويت ١٩٨٠م

١٤-ابو البراء أسامة بن ياسين المعانى، القول المبين فيما يطرد الجن والشيطاين ،١٤٢١هـ -٢٠٠٠م ،دار المعالى

١٥-ابو حامد محمد الغزالى،إحياء علوم الدين،مكتبه الإيمان المنصورة، ١٩٩٦م

١٦-ابراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيادت ، حامد عبد القادر، محمد على النجار، المعجم الوسيط ، مجمع اللغه العربية ، مطبعه مصر،١٩٦١م

١٧-أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربى،١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م

١٨- أسماء بنت عبد العزيز ، صور من حياة النبىﷺ ، ٢٠٠٨م .

١٩-البخارى ، محمد إسماعيل البخارى ،صحيح البخارى، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٢٠-البيهقى ، ابو بكر أحمد بن الحسين بن البيهقى، السنن الكبرى، دار المعرفة ، بيروت- البنان .

٢١-التنوخى ، القاضى ابى على الحسن بن أبى القاسم، الفرج بعد الشدة، منشورات الشريف ١٣٦٤هـ .

٢٢-الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة الترمذى، سنن الترمذى ، دار الكتب العلمية .

٢٣-المتقى الهندى ، على بن حسام الدين المتقى الهندى، كنز العمال فى سنن الأقوال والافعال، مؤسسة الرسالة، بيروت ،١٩٨٩م

٢٤-الدينورى ،أحمد بن مروان بن محمد الدينورى ،المجالسة وجواهر العلم ، دار ابن حزم، بيروت،٢٠٠٢م

٢٥- المبار كفورى،صفى الرحمن المبار كفورى ،الرحيق المختوم

٢٦-المبار كفورى ، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفورى تحفة الاحوذى ،سنن الترمذى، دار الكتب العلمية

٢٧-الهيثمى ،نور الدين على بن ابى بكر الهيثمى،مجمع الزاوئد ومنبع الفوائد،دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ١٩٦٧م

٢٨-الهيثمى، نور الدين على ابن ابى بكر،كشف الاستار عن زوائد البزار، موسسة الرسالة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٢٩-السعدى، عبد الرحمن بن ناصر السعدى، تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان، دار العقيدة ، الاسكندريه، ٢٠٠٩م

٣٠- القرطبى،ابو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى، الجامع الأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ١٩٩٦م

٣١-القارى ، على بن سلطان محمد القارى، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ،دار الفكر، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م

٣٢-العسقلانى ،أحمد بن على بن حجر العسقلانى، فتح البارى شرح صحيح البخارى ، دار الريان للتراث ،١٤٠٧هـ-١٩٨٦م

٣٣-الطبرى، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، جامع البيان فى تأويل القرآن،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ، ١٩٩٩م

٣٤-النيسابورى، مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، صحيح مسلم ،دار إحياء الكتب العربيه

٣٥- النووى، يحى بن شرف ابوزكريا النووى ،شرح النووى على مسلم، دار الخير،١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

٣٦-المناوى، زين الدين محمد ،فيض القدير شرح الجامع الصغير

٣٧-رجب نصر موسى ، سنة الابتلاء فى القران الكريم ، رسالة ماجستير ،٢٠٠٧، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين .

٣٨- عبدالله سعيد ، سنة الابتلاء .

٣٩- عبد الجليل المكرانى ، الابتلاء الإلهى نبى الله أيوب عليه السلام نموذجا، ١٤٢٢هـ .

٤٠-عبد الرحمن جمال الكاشغرى ، خوارق العادات فى ضوء القرآن والسنة ،رسالة ماجستير ،١٤٢٩هـــ -٢٠٠٨م

٤١- فخر الدين الرازى ، التفسير الكبير ،دار الكتب العلميه ،بيروت ،٢٠٠٠

٤٢- محمد المرتضى الحسينى ،تاج العروس ،دار الهداية ،بيروت ١٣٨٥هـ

٤٣- محمد بن يعقوب ابادى ، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ،بيروت ٢٠٠٠

٤٤- محمد إسماعيل سيد أبو سخيل ،التربوية لسنة الابتلاء فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى ، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية ، غزه

٤٥- مجدى الهلالى ، الابتلاء وكيف تستفيد منه الدعوات، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، مؤسسة اقرأ، القاهرة .

٤٦- مصطفى شيخ إبراهيم حقى ، ردالابتلاء بالإستغفار، دار الحضارة .

٤٧- نصار أسعد نصار ، مفهوم الابتلاء فى القرآن الكريم ، مجلة جامعة دمشق .

٤٨- هارون يحى ، سر الابتلاء .

٤٩- هانى سعد غنيم ، الابتلاء تطهير ونعمة من رب الأرض والسماء .

فهرس

الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
	مقدمة	
	- حكمة الابتلاء فى ضوء القرآن والسنة	**٨**
	الفصل الأول :الابتلاء	**٩**
	- المبحث الأول :مفهوم الابتلاء	**١٠**
	- المبحث الثانى : حكمة الابتلاء	**١٧**
	- الحكمة من تعدد صور الابتلاء	**٢٣**
	- الابتلاء مظهر عظيم من مظاهر حب الله ورحمته	**٢٤**
	- المبحث الثالث : أسباب الابتلاء	**٢٦**
	- الفصل الثانى : الأنبياء أشد الناس بلاء	**٣١**
	المبحث الأول : الابتلاء في حياة الرسول ﷺ وأصحابه	**٣٣**
	المبحث الثانى: ابتلاء يوسف عليه السلام	**٤٢**
	المبحث الثالث :كونوا مثل أيوب عليه السلام صبر علي البلاء وهزم الشيطان	**٤٤**
	العقيدة السليمة	**٤٦**
	لا تغضب عند البلاء	**٤٧**
	يا صاحب الابتلاء تعلم من الأنبياء	**٤٨**
	- الفصل الثالث :المسلم دائماً في ابتلاء	**٤٩**
	البلاء جزء من حياة الإنسان	**٥٠**

م	الموضوع	رقم الصفحة
	– الدنيا دار ابتلاء	٥٠
	الأصل فى الدنيا هو الابتلاء والمكابدة والشقاء	٥٠
	المبحث الأول :بلاء المؤمنين	٥٢
	– ضرورة البلاء للمؤمنين	٥٢
	– المؤمن يعلم أن البلاء أمر مقدر حسمه الله سبحانه وتعالي	٥٣
	– المؤمن يعلم ان البلاء سوف يزول	٥٤
	– موقف المؤمنين تجاه البلاء	٥٤
	– لا مكان لليأس في حياة المؤمنين	٥٥
	– الإيمان بالله قوة تشد ازر المؤمنين	٥٦
	– كلما زاد الايمان كلما زاد البلاء	٥٧
	الابتلاءات والمحن تحقق الامن والطمأنينة والسكينة في نفوس المؤمنين	٥٨
	البلاء لا يتوقف ولا يتحول لأنه يسير بعلم الله	٥٩
	المبحث الثانى : حال بعض الناس عند البلاء	٦١
	حال الناس المحبة للدنيا	٦٢
	صوت الضمير وصوت النفس الأمارة أوقات الشدائد	٦٣
	– تتابع نعم الله علي العصاة استدراج لهم وليس خيراً لهم	٦٨
	من انت من هؤلاء وقت نزول البلاء ؟!	٦٩

م	الموضوع	رقم الصفحة
	الفصل الرابع : الابتلاء من عند الله	٧٣
	لابد أن يعلم المبتلي أن الذي ابتلاه أحكم الحاكمين	٧٤
	والله يعلم وأنتم لا تعلمون	٧٥
	المبحث الأول : فوائد في المصائب والمحن والابتلاءات	٧٦
	الابتلاء درس تربوي عملي يربينا	٧٩
	الابتلاء درس من دروس التوحيد والإيمان والتوكل	٨٠
	الابتلاءات والمحن والشدائد تدرب النفس علي المجاهدة والالتزام	٨٠
	الابتلاء يكشف لنا حقيقة الدنيا وزيفها وإنها متع الغرور	٨١
	ابتلاءات الحياة الدنيا تلقي الضوء عادة علي أسوأ ما في الإنسان من صفات	٨٢
	الابتلاء محور تزكية النفس والاخلاص لله عزوجل	٨٢
	البلاء دواء	٨٢
	المبحث الثانى : الرضا بقضاء الله وقدره	٨٣
	الشكوي تنافي الصبر	٨٤
	– طريق الجنة محفوف بالمكارة والشدائد والمحن والابتلاءات	٨٤
	– استمرار الامتحان حتي الموت	٨٥
	– الثبات علي الأخلاق الساميه عند المشقات والشدائد	٨٧

م	الموضوع	رقم الصفحة
	طاعة أوامر الله سبحانه وتعالي في الشدائد	٨٨
	من وثق بالله وتوكل عليه لن يدخله الخوف والحزن	٩٠
	قضاء الله كله خير	٩٢
	إن مع العسر يسرا	٩٢
	الفصل الخامس : كيفية دفع الابتلاء	٩٤
	المبحث الأول : الأمور التي تخفف البلاء علي المبتلي وتسكن الحزن وترفع الهم وتربط علي القلب	٩٥
	المبحث الثانى : الواجب علي العبد حين وقوع البلاء	١٢٢
	بمن تستغيث وقت الشدة ؟	١٢٢
	لا يكشف البلوي إلا الله عز وجل	١٢٣
	الله هو النافع والضار	١٢٤
	المبحث الثالث : أذكار الكرب والبلاء	١٢٦
	*خاتمة	١٢٨
	*المراجع	١٢٩
	*الفهرس	١٣٧